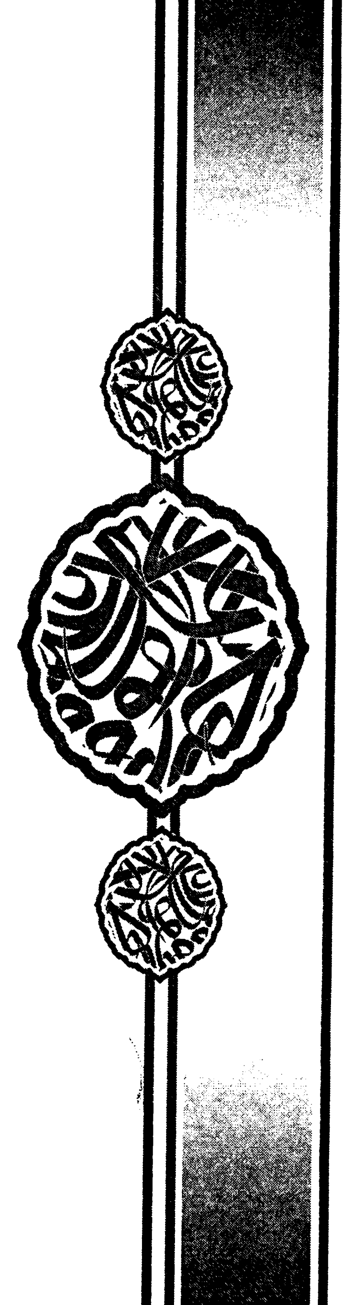
مُنيةُ الطالبِ في حياةِ أبي طالبٍ عليه السلام

العلامة الشهيد

السيد حسن السيد علي القبانچي النجفي (ره)

تقديم وتحقيق

مؤسسة إحياء التراث الشيعي





تأليف

العلامة الشهيد

السيد حسن السيد علي القبانچي النجفي (ره)

تقديم وتحقيق



رقم الإصدار: ٩



منية الطالب في حياة أبي طالب عليه السلام

السيد حسن القبانچي رحمه الله

تقديم و تحقيق

مؤسسة احياء التراث الشيعي

رقم الإصدار : ٩

النجف الأشرف

هاتف: ٣٣٢٨١١

الناشر : دليلنا

الطبعة : الأولى

سنة النشر : ١٤٢٨ هـ

عدد النسخ : ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة : نقارش

ردمك :x ـ ٢١٦ ـ ٣٩٧ ـ ISBN ٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

كما عودت مؤسسة إحياء التراث الشيعي روادها الكرام على رفدهم بكل طارف وتليد، تجد نفسها الآن _ وهي تقدم هذا الكتاب _ قد أقدمت على التعريف بفكرةٍ مهمة وبكاتب مهم ومرموق.

الفكرة تفوق فكرة الدفاع عن مؤمن بل هي تتطرق لمعايير الإيمان والكاتب ليس مجرد كاتب وإنما مجموعة من النشاط المتعدد في مجال الدين والعلم.

وبذلك فقد استقامت هذه المؤسسة على التواصل وفق أهدافها المعلنة وخطها الثابت.

المؤلف:

السيد حسن بن السيد عليّ القبانجي[1] شخصية مرموقة في عالم الفكر فقد عاش مفكراً وكاتباً بعمر طويل، وقد أنتج الكثير من الدراسات، صاهر المرجع الكبير المرحوم المقدس السيد محمّد جواد الطباطبائي التبريزي قدس سره وكان عضده في مرجعيته، وهو كشخصية متنوعة الإنتاج يحتاج إلى دراسة طويلة للتعريف به، لا يسعنا القيام بها الآن، ولكن لا بدّ من ذكر بعض الحقائق:

السيد حسن القبانجي خطيب مصقع، وكاتب بارع، ومؤلف وناشر

(١) اسم مهنة مأخوذة من كلمة القبان وهو الميزان الكبير، وهي مهنة مهمة في معايرة أثقال الغلال وتعيين حقوق المزارعين، وهي مهنة محترمة في وسط وجنوب العراق لما لها من أهمية، فكان صاحب القبان يحدد طبيعة رزق الناس وحجم إنتاجهم، وعنده سر العرض والطلب في البضائع، لما يتجمع لديه من وفرة وجدب في الإنتاج الزراعي.

لكتبه بصورة مستمرة طيلة أربعين سنة أو تزيد، عالج الكثير من الأفكار الصعبة بأسلوبه الأدبي الذي يسوق الكلمات إلى الروحانية ويضفي الروحانية إلى الكلمات، ربى زمرة من العلماء والمجاهدين من أبنائه المباركين، استشهد من أبنائه أربعة شموس، وبقي منهم أعلام في فنهم يشار إليهم، استشهد هو أيضاً في سجون الطاغية صدام بعد أن قبض عليه الجلادون في شهر آذار من سنة ١٩٩١ ميلادية الموافق لشهر شعبان من سنة ١٤١٠هـ عن عمر قارب الثمانين عاماً. ترك من الكتب المطبوعة في حياته:

١ _ شرح رسالة الحقوق (جزءان).

٢ _ الجواهر الروحية (ثلاثة أجزاء).

٣ _ عليّ والأسس التربوية (جزء واحد).

ومن الكتب المخطوطة (١١) كتاباً، تم طبع أربعة كتب بعد شهادته وهي:

١ _ مسند الإمام عليّ عليه السلام (١١ جزء).

٢ _ صوت الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة (جزءان).

٣ _ الدين الإسلامي (جزء واحد). (الجواهر الروحية الجزء الرابع).

٤ _ منية الطالب في حياة أبي طالب (جزء واحد).

اشتهر بحدة ذكاءه ودماثة أخلاقه وكثرة عطاءه وحلاوة لسانه، وانتقاءه للمعاني والألفاظ بما يثير السامعين ويهيج الشجون وتفكير المفكر.

الموضوع:

الموضوع الذي يبحث فيه مؤلفنا الشهيد، يبدو غريباً جداً، حيث إن المسلمين انقسموا في شخص عاصر وناصر وآوى رسول الله صلى الله عليه وآله بين من يقول بكفره! وانه في نار جهنم! وبين من يقول انه من خيار المؤمنين وأوائلهم، ومثل هذا الوضع الشاذ لا يكون عبثاً، ما لم يكن هناك داع لهذا الوضع.

أبو طالب عمّ رسول الله ﷺ وكافله بعد جده عبد المطلب، أظهر إيمانه بالله وبدعوة رسول الله ﷺ وشهد الشهادتين بما لم يثبت لغيره حيث دونت شهادته في التوحيد والرسالة بأشعار خالدة ومواقف لا تحصل إلاّ من عقائدي صلب ومتحزب للعقيدة يفوق أي مؤمن عادي بها.

فلماذا الإصرار على القول بكفره؟

وما الذي يجنيه من يقول بكفره؟

وهو قد شهد الشهادتين بنصوص صريحة منظومة، وجاهد وصبر على الدين بما لا ينكره إلاّ مكابر يجهل أبسط ما جرى لرسول الله ﷺ وشيعته، وقدم أولاده فداء لرسول الله ﷺ في مواقع خطرة وعرض نفسه وعياله للمحق والخسران المادي والاجتماعي والسياسي في سبيل دعوة النبي محمّد ﷺ، وقبل الحصار الجائر وبقي في المحاصَرين (بالفتح) بينما بعض المسلمين الأوائل كانوا ينظرون بحسرة وألم لرسول الله ﷺ لأنهم في الصف المحاصِر (بالكسر) وليس المحاصَر (بالفتح).

هذه القضية فيها بحثان مهمان:

الأوّل: هو إثبات إيمان أبي طالب عليه السلام.

الثاني: دواعي هذا النفي وأسبابه الحقيقية (ما وراء الخبر).

إن من يريد الخوض في القضيتين عليه أن يعيد تشكيل الصورة التاريخية بشكل متناسق ويقرأ الأحداث بطريقة ذكية، لعدم تبرير هذه القضية الشاذة من دون معرفة الإطار الذي تتحرك فيه هذه القضية. فهي إحدى القضايا التي توجب أن نعيد قراءة التاريخ الإسلامي قبل الهجرة وبعدها بشكل مركّز يستطيع أن يمنحنا التفسير المعقول لهذا الشذوذ الواضح. فإن الاختلاف في إيمان رجل أو عدم عمقه في الإيمان بل حتّى نفاقه ليس عجباً، لكون ذلك مما يقتضيه طبع الإنسان، ولكن

الاختلاف في إيمان أو كفر رجل بطرفي تضاد شديدين لا يمكن أن يكون مجرد قول في شخصية تاريخية، وإنما لأن الموضوع يتعلق بأهداف سياسية ومذهبية فهو مدار تقييم على أساس معياري والمعيار هنا معقد وخليط بين السياسة والدين والمقام الرسمي والاجتماعي.

ولهذا فقد تعددت الكتب في طرح هذه القضية لإثبات وجهة النظر ولم يكن الكتاب المثبتون لإيمان أبي طالب من الشيعة فقط، بل تعدى ذلك لمؤلفين من علماء السنة، حتّى بدت القضية ليست قضية بين السنة والشيعة كما يحاول الأمويون وأتباعهم تصوير ذلك، بل هي قضية اختلاف بين منهج الإسلام وبين منهج بني أمية السياسي. ولهذا انبرى علماء لهم وزنهم من أهل السنة للتصدي لهذه القضية بروح إسلاميّة رافضة للتوجّه الأموي في تزييف التاريخ والتراث الإسلامي وتزييف الحالة الفقهية في توصيف المؤمنين الأوائل.

كما إن المؤلفين الشيعة تعددت ردودهم وأذواقهم في هذه القضية ليبينوا أن قضية تكفير أبي طالب عليه السلام لم تكن حقيقية وإنما هي قضية مفتعلة، خالية من الدليل، وكلٌّ عرض الموضوع من زاويته.

الكتاب:

أسلوب الكتاب أدبي سردي بلغة محببة وجذابة أشبه بتشكيل سيناريو قصصي مستند للتأريخ وللمصادر المعروفة، وهو يستعمل لغة إيحائية حيث أن القارئ حين يبحر في سرده التاريخي كقصة محبوكة السرد، فإذا بالكتاب يضعنا تماماً على (العلة والسبب) لهذه الدعوى الشائكة، بسرد متسلسل بشكل منطقي، ليجعلنا نستنتج بدون عناء من داخل أنفسنا الأسباب والدوافع لهذه التهمة واستمرارها، وحين يصل القارئ في الكتاب إلى فصل (سر التشكيك في إيمان أبي طالب عليه السلام) يجده قد تقدم على أدلة إيمان أبي طالب بخلاف

سيرة الكتب الأخرى، ويكتشف أن جميع الكلام السابق هو لبيان سبب هذه الهجمة على الرجل، وتشخيص عناصر الصراع الحقيقي، الذي انتقل من شكل عدوين ظاهرين (إسلام وكفر) (محمّد ﷺ وصحابته ضد أبي سفيان وجماعته) إلى عدوين مبهمين (مسلم ومسلم) (اللصيق بالنبي محمّد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وشيعته ضد معاوية بن أبي سفيان وحزبه) هذا النزاع الذي لا يمكن تقييمه ما لم يعرف الموقف الحقيقي من أبي طالب؟ الذي ناصر النبي ﷺ وفوت الفرص للقضاء على الإسلام ونبيه من قِبل قادة المشركين: (أبي جهل وأبي سفيان وزوجه هند بنت _ القائد المهم الآخر في سلسلة قيادات الشرك _ عتبة ووالدة معاوية بطل المعركة الغامضة) وغيرهم من عتاة قريش. فهنا تصبح الصورة أكثر وضوحاً.

فالكتاب يركز على مسألة في غاية الأهمية من بحث الموضوعين الآنفين وهما تحقيق إيمان أبي طالب عليه السلام والثاني بيان سبب الحملة عليه، حيث ركّز على إظهار: أن السرد التاريخي والبرهان العلمي على إيمانه، إنما هو مساق لبيان (السبب) وراء هذه الحملة وجذورها العقائدية والنفسية، والموضوع بهذا الشكل يفسّر الكثير مما حدث بناءاً على هذه القاعدة، من انقسامات في المسلمين، قائمة على أساس قضية إخفاء إسلام أبي طالب عليه السلام وأسبابها. في كل ما جرى في الإسلام من نكبات دينية وعقائدية وإنسانية وأخلاقية مسخت صورة الإسلام. حيث يظهر أن القضية ذات ترابط منطقي في الأحداث لبقاء الأسباب والشخصيات نفسها من دون تغيير في الواقع، إلاّ انسلاخ المهزومين ليتحولوا إلى هازمين من داخل الدين الذي اضطروا إليه.

* * *

مؤسسة إحياء التراث الشيعي تعتقد أن الكتاب قد وُفِق في تجهيز هذه

الحقيقة في ذهن القارئ وفتح آفاقه لفهم تاريخ النبوة الابتدائي، ومن ثم تاريخ الخلافات اللاحقة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله التي لم تكن بعيدة في شخصياتها وأفكارها عن الحرب التي كانت في بداية الدعوة في العهد المكّي.

وبهذا فإن الكتاب حوّل قضية إيمان أبي طالب إلى بُعد إسلامي في تفسير التأريخ الإسلامي الأوّل، واللاحق له، بالتسلسل المنطقي، وإلى بُعد إسلامي أصيل في تقييم الأحداث التي جرت على الإسلام، بشكل ذكي حيث كانت قضية أبي طالب محرّكاً فاعلاً في تفسير الأحداث التي تلت تلك الفترات.

تأمل مؤسسة إحياء التراث الشيعي أن يحرك هذا البعد في تناول التاريخ الإسلامي ضمير الأمّة الإسلاميّة لصحوة تصحيحية للأفكار في تحديد وظيفة الشخصيات المتصارعة في بداية الإسلام.

ومَنْ منها تصارع في سبيل الله؟

ومَنْ منها تصارع ضد الله؟

وعلى ماذا كان صراعها؟

مدير المؤسسة

السيد محمّد القبانجي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

كان العرب وغير العرب يسيرون على مناهج شتى وأطوار مختلفة في شؤون معائشهم وأديانهم وآدابهم وأخلاقهم حسب اختلاف بيئاتهم، فكنا نرى في جزيرة العرب صنوفاً من المعاملات وأنواعاً من الأنكحة مستهجنة وغير مستهجنة، وضروباً من قبائح العادات ومناحي من المعتقدات، فمن كتابي يهودي ونصراني إلى وثني إلى صابئي إلى مجوسي، ذلك ما كان شائعاً من المعتقدات، ولما نطق ناطق الحق محمّد ﷺ وصدع بما أمر به مبشراً ونذيراً قلب هذه المناهج رأساً على عقب، وغيّر مناحي الأمم والشعوب، ووحد صفوف العرب معتقداً وأخلاقاً، وذلك بعد المتاعب والمشاق واجتياز كل عقبةٍ كأدائة[1] بفضل الحجج البالغة والبراهين الدامغة مشفوعة بحدود الصفاح وأسنة الرماح.

فكان بعد ذلك لصرخة صارخ الدين دويٌّ قوي ونبأ عظيم في أنحاء الكرة الأرضية، ولذا ساد الخوف واستولى الهلع والرعب على أفئدة الجبابرة في ممالك الأرض.

نعم، ذلك لهيبة الحق وسر النبوة وعناية الله تعالى في تأييد دينه، ومن هنا كان النصر حليف الخلفاء من بعده، وكان بريد الظفر يسعى بين أيديهم وعن يمينهم وشمائلهم، فباسم النبي ﷺ افتتحت ممالك الأكاسرة والقياصرة، وباسمه تطوع في جيش الإسلام جماهير الأمم المختلفة، فأخلصوا

---

(١) عقبة كأداء: أي ذات مشقة، وهي أيضاً: كؤود... أنظر كتاب العين ٥: ٣٩٧.

في العمل موحدين، وبدينه تكوّن للعرب ملكهم العظيم من حدود الهند إلى البحر، ومن سواحل البحر الأحمر إلى سواحل بحر قزوين في سرعة لم يحك التاريخ مثلها في الفتوحات واكتساح الممالك الشاسعة.

ومن المقرر تاريخياً أنه ما تم لمحمّد صلى الله عليه وآله ذلك النجاح الباهر والظهور على العرب أولي العزة والقوة والعدد والعدّة، وما تسنى له جمعهم تحت لواء النبوة خاضعين أذلاء صاغرين إلاّ بجهود عمّه أبي طالب عليه السلام.

أجل، وما استغل العرب هذا الملك العقيم[١] إلاّ من حقول تلك الجهود، فأبو طالب عليه السلام هو وحده الذي أخذ على عاتقه نصرة النبي صلى الله عليه وآله مهما كلفه الأمر، وهو وحده الذي شجعه على نشر مباديه يوم لم يكن لديه ناصر ولا معين، وهو الذي فتق له من المضيق طرقاً واسعةً للسعي وراء تأييدها، وهو الذي كلف نفسه أقصى ما يُتصور في تكليف المرء نفسه في الدفاع عنه صلى الله عليه وآله، وهو الذي بذل كل نفيس ورخيص في سبيل دعوته، وهو الذي قيّضه الله تعالى لمحمّد ليتمّ به كلمته، ذلك كله بشاهد نظرة واحدة في أي كتاب يرتضيه الشاك في أبي طالب من سيرة النبي صلى الله عليه وآله.

إذاً فأبو طالب عليه السلام هو المساعد الأوّل في وضع الأحجار الأولى في بناء هذا الدين القويم، وهو صاحب الفضل الأوّل بعد النبي صلى الله عليه وآله في إقامة هذا الصرح العظيم، وعليه فأبو طالب حقيق بأن يكون في الدرجة الأولى من أبطال التاريخ وأقطابه.

دوافع التأليف:

إذاً فلماذا لم نجد محررات المؤرخين (عفا الله عنهم) تحت عنوانه سوى كلمات لا تتجاوز الأسطر في ترجمة حاله؟ ولماذا ما عناهم من أمره ما عناهم من أمر

---

(١) الملك العقيم الذي لا ينفع به نسب، لأنه يقتل في طلبه الأب والأخ والابن والعم.

غيره ممن هو دونه ودونه بدرجات نسباً وحسباً وشخصيةً وآثاراً؟ ويمكنك أن تقف على سر إعراضهم عن هذا الأمر فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وكثيراً ما كان يخطر في البال أن أشرع في هذا الموضوع ـ موضوع في حياة أبي طالب عليه السلام وفي رفع ما علق في أذهان البعض من الشبه في حقّه ـ ذلك عندما أرى ما لهذا المجاهد الأوّل من الحقوق على الإسلام عامة وعلى نبينا صلى الله عليه وآله بالخصوص، وما زالت هذه الفكرة تتجسم في نظري كلما سمعت وقرأت أن بعض إخواننا من المسلمين ما زالوا ولا يزالون يذكرون على المنابر في خطبتي العيدين والجمعة عمّي النبي صلى الله عليه وآله حمزة والعبّاس كما يجب ولا يأتون على ذكر أبي طالب عليه السلام أصلاً حتّى كأن الله تعالى لم يخلقه عندهم.

يقول صاحب العرفان[1] الأغر:

أليس من أفظع الظلم أن يقال على المنبر: اللّهم ارض عن عمّي نبيك حمزة والعبّاس، ويترك أبو طالب؟ على حين أنه هو صاحب الفضل على الجميع، وهو أولى الدعامتين اللتين قام عليهما بناء هذا الدين، وقد أجاد ابن أبي الحديد المعتزلي إذ يقول فيه:

ولولا أبو طالب وابنُهُ ... لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحاما ... وهذا بيثرب جسّ الحماما

تكفّل عبد مناف بأمرٍ ... وأودى فكان عليٌّ تماما

فقل في ثبير مضى بعدما ... قضى ما قضاه وأبقى شماما

(١) العرفان مجلة تاريخية أدبية صدرت في صيداء من ١٣٢٧ هجرية، ثمّ تعطلت مدة الحرب العالمية الأولى، لمنشيها أحمد عارف الزين، ولها عناية خاصة في نشر شؤون الشيعة بلبنان. وصدر منها في الأوائل خمسة مجلدات... وإلى عام ١٣٤٤ بلغت عدة مجلداته ١١ مجلداً، و ٣٦ مجلداً إلى نهاية ١٣٦٨ هجرية. الذريعة ١٥: ٢٤٦.

فلله ذا فاتحاً للهدى ... ولله ذا للمعالي ختاما

وما ضر مجدُ أبي طالب ... جهول لغا أو بصيرٌ تعامى

كما لا يضرُّ أباةُ الصباح ... من ظن ضوء النهار الظلاما[1]

* * *

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة ١٤: ٨٤

[ترجمة أبي طالب عليه السلام]

﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[1]

كان من اللازم أن نشير إلى شيء من ترجمته وترجمة آبائه ومولده ونشأته وقيامه دون النبي صلى الله عليه وآله على سبيل الاختصار قبل البحث في إثبات إسلامه عليه السلام، فنقول:

[ولادة أبي طالب]:

ولد أبو طالب عليه السلام في أم البلاد العربية البلد الأمين مكّة المباركة قبل ولادة النبي صلى الله عليه وآله بخمس وثلاثين سنة الموافق لسنة ٥٣٥ ميلادية، وكانت ولادته قبل قصة أصحاب الفيل وبعد حفر زمزم، وأمّه فاطمة بنت عمرو بن عائذ من بني مخزوم، يروى أنها آخر زوجات عبد المطلب عليه السلام.

[رؤيا عبد المطلب]:

قال الفاضل المتبحر صاحب بحار الأنوار: إن عبد المطلب تزوج بنساء كثيرة من بيوت العرب وأعاظمها رجاءاً لانتقال نور رسول الله صلى الله عليه وآله من وجهه وبروزه في الدنيا، فلم ينتقل عنه إلى أن نام في بعض الليالي قريباً من حائط الكعبة، فرأى رؤيا فانتبه فزعاً مرعوباً، فقام يجر بأذياله إلى أن وقف إلى جماعته وهو يرتعد فزعاً، فقالوا له: ما ورائك يا أبا الحارث؟ إنّا نراك مرعوباً طائشاً، فقال: إني رأيت في المنام كأنه قد خرج من ظهري سلسلة بيضاء

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

مضيئة يكاد ضوؤها يخطف الأبصار، ولها أربعة أطراف؛ طرف منها قد بلغ المشرق، وطرف منها قد بلغ المغرب، وطرف منها غاص تحت الثرى، وطرف منها قد بلغ عنان السماء، فنظرت وإذا رأيت تحتها شخصين عظيمين مهيبين، فقلت لأحدهما: من أنت؟ فقال: أنا نوح نبي ربّ العالمين، وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أنا إبراهيم الخليل جئناك نستظل بهذه الشجرة، فطوبى لمن استظل بها، والويل لمن تنحى عنها. فانتبهت لذلك فزعاً مرعوباً.

فقالوا له: يا أبا الحارث، هذه بشارة لك وخير يصل إليك ليس لأحد فيها شيء، وإن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يدعو أهل المشرق والمغرب ويكون رحمة لقوم وعذاباً على قوم، فانصرف عبد المطلب فرحاً مسروراً، ولم يلبث أن تزوج بفاطمة بنت عمرو، فولدت له الزبير وأبا طالب عليه السلام وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وهو أصغر أولاده.(١)

[نشأته عليه السلام]:

نشأ أبو طالب عليه السلام في حجر والده عبد المطلب عليه السلام وتخرج على يده، وعبد المطلب ممن عرفه التاريخ باستعداده الفطري وعلمه وحلمه وحكمته، وحدّثنا عن بروز شخصيته في قريش وسيادته فيها سيادةٌ مطلقة، فقال كما في السيرة الحلبية،(٢) وكما في بلوغ الأرب للآلوسي(٣) من الطبقة الثانية وفيهما زيادة:

كان عبد المطلب مفزع قريش في النوائب وملجأها في الأمور، فهو حكيم قريش وحليمها وحاكمها وشريفها وسيدها كمالاً وفعالاً غير مدافع، ولقد أفصح

(١) أنظر نص ما حكاه المجلسي في: بحار الأنوار ١٥: ٧٦.

(٢) ج ١: ٤/ ط م.

(٣) ج ١: ٣٢٣ و٣٢٤.

التاريخ أيضاً عن بلوغه الغاية في الحكمة وصفاء النفس، ولذا توصل إلى رفض عبادة الأصنام فوحد الله تعالى، وكل أحد يرى صفاء نفسه عندما يتلو ما أُثر عنه من سنّ السنن التي نزل القرآن بأكثرها وجاءت السنّة بها جمعاء، منها: الوفاء بالنذر، وقطع يد السارق، والمنع من نكاح المحارم، والنهي عن قتل الموؤدة، وتحريم الخمر والزنا، وحظر طواف العراة في بيت الله الحرام، وغير ذلك.

ويظهر لنا من كلماته المأثورة أنه كان يؤمن بالبعث، الأمر الذي يرشدنا إلى أن عبد المطلب وصل إلى أبعد نقطة في العلم والمعرفة، وكثيراً ما كان يلقي على أولاده دروساً قيمة ويأمرهم بالعمل بها، منها ما يعود إلى مكارم الأخلاق، والتحذير من مغبة الظلم وسوء منقلبه، والنهي عن دنيّات الأمور، إلى آخر ما هنالك. وكان يقول _ كما إنه يعتقد ذلك _: «لن يخرج من الدنيا ظلوم حتّى ينتقم منه وتصيبه عقوبة» إلى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر وقال: «والله إن وراء هذه الدار داراً يجزي فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته»[1] يعني: إن الظلوم شأنه في الدنيا ذلك حتّى إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدّة له في الآخرة.

هذا طرف من شخصية عبد المطلب السيد الوحيد.

إذاً فخليق بأبي طالب عليه السلام ذلك الذي درج في حجر رياسة والده وتأدب على يده وتخرج من كلية ديوانه الحافل بأنواع الدروس والتعاليم _ أخلاقية وسياسية _ أن يكون المثل الأعلى في نشأته من حيث الطموح إلى رفيعات المراتب والتأهب إلى مستوى فوق مستوى قومه، ويجدر به أن يَخلُفَ أباه في جميع مزاياه في حكمته وتوحيده في منابذته لخرافات قريش الاعتقادية وغيرها.

وليس المجد مكتسباً ولكن ... على أعراقها تجري الجيادُ

---

(١) أنظر: رسائل المرتضى ٣: ٢٢٤.

[زواجه عليه السلام]:

ثمّ لما درج وترعرع زوّجه والده بفاطمة بنت أسد عليها السلام، وهي من فضليات الهاشميات، بزغت في عصرها شمساً في سماء الكمال، تتنقل في أبراجه، شرفُ حسبٍ، فكرم مُحتَدٍ، فمكارمُ أخلاقٍ، فذكاءُ قلبٍ، فرجاجةُ حِجى، فطهارةُ نفس، فجمالُ ذاتٍ، ففضيلة صفاتٍ، تلك حلية هذه السيدة الجليلة، ولذا اختارها سيد قريش ولم يستبدل بها سواها مدة حياته.

وخطب عند التزويج فقال: الحمد لله رب العالمين، رب العرش العظيم والمقام الكريم والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً وسدنة وعرفاء وخلصاء وقادة وحجبة، بهاليل، أطهار من الخنا والريب والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضلنا على العشائر، نخب آل إبراهيم وصفوته، وزرع إسماعيل [في كلام له، ثمّ قال:] وقد تزوجت فاطمة بنت أسد وسقت المهر وأنفذت الأمر، فاسألوه واشهدوا، فقال أسد: زوجناك ورضينا بك، وأولم أبو طالب عليه السلام سبعة أيام متوالية ينحر فيها الجزر ويُطعم الناس، وفي ذلك يقول أمية بن الصلت:

أغمرنا عرس أبي طالب ... وكان عرساً لين الجانب

إقراؤه البدو بأقطاره ... من راجل خفّ ومن راكب

فنازلوه سبعةً أُحصيت ... أيامها للرجل الحاسب[1]

أغفل أهل السير والمؤرخون الكثير من أحوال هذه السيدة ولم يذكروا لنا غير اليسير منها، ونحن أداءاً لحقها الواجب وإلماماً بأطراف الموضوع من جميع الجهات نذكر من أحوالها ما استفدناه من بطون دفاتر شتى ورشحات محابر عديدة، فنقول:

---

(١) أنظر: مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٠؛ عنه بحار الأنوار ٣٥: ٩٨.

[فاطمة بنت أسد]:

كانت فاطمة بنت أسد عليها السلام أوّل هاشمية تزوجت هاشمياً وولدت له، أدركت رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلمت على يده وحسن إسلامها، أسلمت بعد عشرة من المسلمين فكانت الحادية عشر، فهي من السابقات إلى الإسلام، ولما أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وآله: ﴿يا أيّها النّبيّ إذا جاءَكَ المُؤمِناتُ يُبايِعْنَكَ﴾[1] الآية دعا النبي صلى الله عليه وآله النساء إلى البيعة، فكانت هي أوّل امرأةٍ بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله. وبقيت بعد أبي طالب عليه السلام فهاجرت إلى المدينة جليلة في المؤمنات، مقدرة، صالحة، تقية، يزورها النبي صلى الله عليه وآله ويقيل عندها في بيتها، وقد حضرت بدراً في قطار حرم النبي صلى الله عليه وآله، ولما مرضت أوصت إلى النبي صلى الله عليه وآله فقبل وصيتها، وكانت وفاتها في السنة الرابعة من الهجرة في المدينة، فصلى عليها رسول الله وتولى دفنها بنفسه، وألبسها قميصه واضطجع في قبرها وتمرغ به وبكى قائلاً: «جزاك الله من أم خيراً، لقد كنت خير أم» فقال له بعض الحسدة: يا رسول الله، ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت مع هذه المرأة، فقال صلى الله عليه وآله: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها، إني إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنّة، واضطجعت معها في قبرها ليهون عليها ضغط القبر».[2]

ولدت فاطمة عليها السلام لأبي طالب عليه السلام أربعة ذكور منتخبين من أعيان الرجال وفطاحل العلماء وزعماء العرب، ولا أخص قريشاً، وأصغرهم سناً أكبرهم سناءاً أمير المؤمنين عليه السلام الذي ساد الإنس والجن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبين كل واحد وتاليه عشر سنين في الميلاد، فأوّل من ولدت منهم طالباً، وآخر من ولدت في الكعبة عليّ المرتضى عليه السلام، والأربع أسلموا ونصروا الرسول نصراً قامت به الملة ورست قواعد الشريعة، وبالخصوص الأنزع البطين.

---

(١) الممتحنة: ١٢.

(٢) أنظر: أُسد الغابة ٥: ٥١٧؛ شرح نهج البلاغة ١: ١٤؛ ذخائر العقبى: ٥٦؛ ينابيع المودة ٢: ٤٣.

[أخت عليّ عليه السلام أم هاني]:

وولدت فاطمة أيضاً لأبي طالب بنتين كريمتين جمانة وفاختة المُكنّاة بـ(أم هاني) وأسلمتا قديماً، وأم هاني هذه هي التي قبضت على يد أمير المؤمنين عليه السلام يوم فتح مكّة حين هم باقتحام دارها، حيث خبئت فيها أصهاراً لها أباح النبي صلى الله عليه وآله دمهم، وأراد أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم، وحتّى ما استطاع عليه السلام تحريك يده عند قبضها عليها، ولها يقول النبي صلى الله عليه وآله: «قد أجرنا من أجارت أم هاني»[1] فكانت أم هاني بعد ذلك تفتخر بهذه الكلمة فتراها رافعة رأسها بين قبائل العرب، وكانت قريش على كفرها وبغضها للنبي صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام تجل أم هاني وتكرمها، وأهل الكوفة يدعون الإسلام يرون زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام ظهيرة عاشوراء ومعها الفاطميات يتراكضن ببيداء كربلا، وفي أم هاني يقول صلى الله عليه وآله كما هو في الأثر الوارد عنه صلى الله عليه وآله: «لو ولد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعاناً»[2] وهي التي أقبلت مع لمة من نساء بني هاشم لتودع الحسين عليه السلام عند توجهه إلى العراق، فلما رآها الحسين عليه السلام مقبلة عرفها وقال كأنها... إلخ.

[كفالة أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله]:

ومكث النبي صلى الله عليه وآله سنيناً في كفالة عمّه أبي طالب عليه السلام، وأظهر له أبو طالب وزوجته من الحنو والحدب عليه والرأفة به، فكانا يؤثران على أنفسهما وأولادهما كما ذكر ابن أبي الحديد ذلك، قال:

لما أدخلت قريش بني هاشم الشِّعب كان أبو طالب عليه السلام كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه عليّاً مكانه، فقال له عليّ عليه السلام ليلة: يا أبت إنّي مقتول، فقال له:

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٧٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٠: ٧٨.

اصبرن يا بنيّ فالصبر أحجى
كل حي مصيره لشعوب

قد بذلناك والبلاء شديد
لفداء الحبيب وابن الحبيب

لفداء الأعزّ ذي الحسب الثاقب
والباع والكريم النجيب

إن تُصبك المنون فالنبل يرمي
فمصيبٌ منها وغير مصيب

كل حي وإن تملى بعيشٍ
آخذٌ من خصالها بنصيب

فقال أمير المؤمنين عليه السلام يجيبه:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد
ووالله ما قلت الذي قلت جازعا

ولكنني أحببت أن ترى نصرتي
وتعلم أني لم أزل لك طايعا

وسعي لوجه الله في نصر أحمد
نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا[1]

انتهى.

قال القاضي دحلان في سيرته بهامش السيرة الحلبية:[2] كان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم ـ يعني أولاده ـ أو يعشيهم يقول لهم: «كما أنتم حتّى يأتي ابني»، فيأتي رسول الله فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم، وإذا لم يأكل النبي صلى الله عليه وآله معهم لم يشبعوا ولم يفضلوا من الطعام شيئاً، قال: وإذا كان لبناً شرب رسول الله صلى الله عليه وآله أوّلهم ثمّ تناولوا القعب[3] فيشربون منه فيروون من عند آخرهم، فيقول أبو طالب: «إنك لمبارك»، وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان أوّل بكرةِ النهار شيئاً يأكلونه، فيجلسون وينتهبون، فيكف رسول الله صلى الله عليه وآله يده ولا ينتهب معهم تكرماً منه واستحياءاً ونزاهة نفس وقناعة قلب، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعاماً على حدته، وكان يوضع

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٤: ٦٤.

(٢) ج ١: ٩٢.

(٣) القعب: أي القدح يكون من خشب.

لأبي طالب عليه السلام وسادة يجلس عليها، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فجلس عليها، فقال: «إن ابن أخي ليحس بنعيم عظيم» أي شرفٍ عظيم، وكل ذلك دلالة واضحة على قوة إيمان أبي طالب عليه السلام، ولو لم يكن قوي الإيمان لم يكلف نفسه هذا التكليف.

قال دحلان: وكان يحبه حباً شديداً لا يحب أحد أولاده كذلك، ولذا لا ينام إلاّ إلى جنبه، ويخرج به متى خرج.

[كرامة لأبي طالب عليه السلام]:

وروى في الصفحة أيضاً، وكذلك رواها في أسنى المطالب،[1] وكذا رواها شمس الدين أبو عليّ فخار بن معد وهو من فطاحل العلماء الشيعة في كتابه: (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب عليه السلام)[2] عن عرفطة الجندعي قال: بينا أنا بالقاع من نمرة ـ وهو موضع بعرفات ـ، إذ أقبلت عير من أعلى نجد حتّى حاذت الكعبة، وإذا بغلام قد رمى نفسه من عجز بعير حتّى أتى الكعبة وتعلق بأستارها ثمّ نادى: يا رب البيت أجرني، فقام إليه شيخ جسيم وسيم عليه بهاء الملوك ووقار الحكماء فقال: ما خطبك يا غلام؟ فقال: إن أبي مات وأنا صغير وإن هذا الشيخ النجدي قد استعبدني، وقد كنت أسمع أن لله تعالى بيتاً يمنع من الظلم، فجاء النجدي فجعل يسحبه ويخلِّص أستار الكعبة من يديه فأجاره القرشي ومضى النجدي وقد تكتعت[3] يداه. قال: فلما سمعت الخبر قلت: إن لهذا الشيخ لشأناً.

[استسقاء أبي طالب ببركة النبي صلى الله عليه وآله]:

فطويت رحلي نحو تهامة حتّى وردت الأبطح وقد أجدبت الأنواء وأخلفت

---

(١) ص ٨

(٢) ص ٩٠.

(٣) الأكتع: من انقبضت أصابعه ورجعت إلى كفه.

العَواء،[١] وإذا قريش حلق قد ارتفعت لهم ضوضاء، فقائل يقول: استجيروا باللات والعزى، وقائل يقول: بل استجيروا بمناة الثالثة الأخرى، فقام رجل من جملتهم يقال له ورقة بن نوفل عمَ خديجة بنت خويلد فقال: إني نوفلي وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل، فقالوا: كأنك عنيت أبا طالب؟ قال: هو ذاك، فقاموا بأجمعهم وقمت معهم، فأتينا أبا طالب فدققنا الباب عليه، فخرج إلينا من دار نسائه في حلة صفراء وكان رأسه يقطر من دهانه، فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العباد، فهلم فاستسق لنا، فقال: رويدكم دلوك الشمس[٢] وهبوط الريح، فلما زاغت الشمس أو كادت وإذا أبو طالب عليه السلام قد خرج وحوله أغيلمة من بني عبد المطلب وفي وسطهم غلام أيفع منهم وهو النبي صلى الله عليه وآله كأنه شمس ضحىً تجلت عنها سحابة قتماء،[٣] فجاء حتّى أسند ظهره إلى الكعبة [في مستجارها] ولاذ[٤] الغلام بإصبعه إلى السماء كالمتضرع، وبصبصت الأغيلمة حوله وما في السماء قزعة[٥] أي مطر، فأقبل السحاب من ههنا وههنا حتّى لث[٦] وأسحم[٧] وأقتم[٨] وأرعد وأودق[٩] واغدودق[١٠] الوادي وكثر قطره، وأخصب النادي والبادي، وفي هذا يقول أبو طالب يذكّر قريشاً حين تمالؤا على أذية النبي صلى الله عليه وآله:

---

(١) العواء: نباح الكلب وصوته، أي أخلفت الأنواء ضوضاء الكلاب مكان النعم لأجل القحط.

(٢) أي: ميلها.

(٣) أي: سوداء.

(٤) أي: أشار.

(٥) القزعة: القطعة من السحاب.

(٦) أي: قرن.

(٧) السحمة: السواد، وهنا يأتي بمعنى السحاب.

(٨) القتام: الغبار.

(٩) أي: أمطر.

(١٠) اغدودق الماء: كثر وعذب.

ولما رأيت القوم لا ود عندهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وجاهرونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنةً يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض عضبٍ من تراث المقاولِ

إلى قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

[نزول المطر ببركة النبي صلى الله عليه وآله]:

وأخرج البيهقي كما ذكره ابن أبي الحديد،[1] وفي أسنى المطالب،[2] وفي السيرة الدحلانية هامش الحلبية[3] عن أنس بن مالك قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وشكا الجدب والقحط، فقال: أتيناك يا رسول الله وليس لنا صبي يصطبح ولا بعير يئط، ثمّ أنشد:

أتيناك والعذراء يدمي لبانها وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل
وألقى بكفيه الصبي استكانة من الجوع حتى ما يمر ولا يحلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل[4]
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين مفر الناس إلا إلى الرسل

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٤: ٨٠

(٢) ص ١١.

(٣) ج ١: ٩٣.

(٤) العلهز: نبت كالبردي، والفسل: المسترذل الرديء.

قال: فقام النبي صلى الله عليه وآله يجر ردائه حتّى رقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ مدَ يديه إلى السماء فقال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مريأً، مريعاً، سحاً، سجالاً، قاطباً، دائماً، تنبت به الزرع، وتملأ به الضرع، وتحيي به الأرض بعد موتها، واجعله سقياً عاجلاً غير رائث[1]» قال: فوالله ما ردَ رسول الله يديه إلى نحره حتّى ألقت السماء بأوراقها، وجاء أهل البطانة يصيحون: يا رسول الله الغرق الغرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم حوالينا ولا علينا» فانجاب السحاب عن المدينة حتّى أحدق بها كالإكليل، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى بدت نواجذه، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه، من ينشدنا قوله؟» فقام عليّ عليه السلام فقال: يا رسول الله كأنك تريد قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وذكر الأبيات، فقال صلى الله عليه وآله: «أجل».

وبهذين البيتين نعت فاطمة عليها السلام أباها عندما دخلت عليه فرأته مسجىً على فراش المرض الذي توفي فيه، فاضطربت وقالت: وأبيض يستسقى الغمام... إلخ، فالتفت إليها صلى الله عليه وآله فقال: «يا بنيّة هذا من قول عمّي أبي طالب عليه السلام، ولكن قولي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[2]».[3] نعى أيضاً لها نفسه وأعلمها بأنه مقبل على لقاء ربه ومفارق لها في مرضه هذا، فكان ذلك أمضى لألمها وأفجع لمصيبتها، وما اختطفته يد المنون إلاّ وانقلب القوم على الأعقاب كما أخبر الله رسوله، وليتهم انقلبوا ولم يتعرضوا لآل نبيهم بسوء، فكأنهم أرادوا التشفي من النبي بأهل بيته، فما أغمضت عيناه إلاّ وأقبلت الفتن عليهم من أصحابه

---

(١) غير رائث: غير بطئ.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) أنظر: بحار الأنوار ٢٢: ٤٧٠.

كأنها قطع الليل المظلم، فمن هجوم الدار، إلى سحب الكرار، إلى ضرب الصديقة البتول بالسياط، إلى عصرها بين الحائط والباب، إلى كسر الضلع وسقوط الجنين.

والــــداخلين علـــى البتولـــة بيتهـــا   والمـــسقطين لهـــا أعـــزّ جنـــين

* * *

[مقام أبي طالب في قريش]

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[1]

كان لأبي طالب عليه السلام مقام في قريش وفي أنحاء جزيرة العرب شامخاً مهماً لم يكن بأقل من مقام والده فيهم، ولم تكن شخصية أبيه فيهم على ظهورها بأظهر من شخصيته، والذي يلوح لنا من التاريخ والسير أن أبا طالب عليه السلام صارع أباه في حياته على السيادة والكمالات الروحية، ولذا كان شريك والده في كفالة النبي صلى الله عليه وآله، ولما توفي والده انفرد وحده في كفالته كما هو مذكور في السيرة الحلبية،[2] كما انفرد بالزعامة المطلقة على حين أنه كان لا مال له كما ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج،[3] والمعلوم عن ذلك الوقت وغيره أن المادة الوحيدة للزعامة بعد الاستعداد هي المال ليس إلاّ، غير أن أبا طالب عليه السلام بمواهبه واستعداده ومكارم أخلاقه ومقدرته، ملك نفوس قريش وحل من قلوبهم محلاً علياً، وكان له فيهم المقام الكريم والجاه العظيم، فانقادت له الأمور واستوى على عرش الحكومة، وأقام صرح الرياسة على قاعدة الكفاءة.

ذلك مقام أبي طالب عليه السلام في قريش، ولا غرابة في أن يكون له في جزيرة العرب المقام الرفيع والصيت البعيد، ذلك لمقامه في بلد كرمه الله تعالى فجعل أفئدة من الناس تهوي إليه وحجيج الخلائق يأوي لديه على كل ضامر من كل فج عميق،

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) ج ١: ١١٧.

(٣) ج ١٥: ٢١٩.

ولقيامه في ذلك الحين بما أوجبه على نفسه من ضيافة فقراء الوفود ومساكينهم وأبناء السبيل، حيث ينزلهم في دار رفادته، ويرويهم ويروي الوفود كافة من سلسبيل سقايته، ولدى انقضاء أيام الموسم يصدر الناس أشتاتاً إلى الأقطار عن جفان كالجواب[١] وقدور راسيات، ولا شك في أن الجمع المتفرق في أنحاء الجزيرة عقيب تلك الأيادي التي هي طوق الهوادي كان يتلو سور حمده ويرتل آيات الثناء في الحل والترحال وفي كل كور وبلد.

هذا نموذج بعض محامده، وبه وبنحوه يمكن للرجل أن يتصور منزلته ورفعة مقامه في جزيرة العرب، بذلك كله يعترف المؤرخون.

يقول الآلوسي في بلوغ الأرب:[٢] كان أبو طالب حاكم قريش وسيدها ومرجعها في الملمات. ويقول ابن أبي الحديد في شرح النهج[٣] نحو ذلك، وأن السقاية والرفادة كانت له بعد أبيه، كذا في السيرة الدحلانية بهامش الحلبية،[٤] وفي تاريخ الخميس:[٥] أن الرفادة كانت له بعد أبيه.

وكذا اعترف المؤرخون بتقدمه في كمال النفس، وناهيك بذلك أن سن القسامة[٦] في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة فأثبتتها السنة في الإسلام، وحرم الخمر على نفسه فجاء بذلك القرآن.

---

(١) الجواب: جمع جابية، والجابية: الحوض الذي يجمع فيه الماء.

(٢) ج ١: ٣٢٤/ ط ٢.

(٣) ج ١٥: ٢١٩.

(٤) ج ١: ١٧.

(٥) ج ١: ١٧٧.

(٦) القسامة بالفتح: هي الأيمان تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا الدم، يقال: قتل فلان بالقسامة إذا اجتمعت جماعة من أولياء القتيل فادعوا على رجل أنه قتل صاحبهم وكان معهم أمارة غير البينة فحلفوا خمسين يميناً أن المدعى عليه قتل صاحبهم، وهؤلاء الذين يقسمون على دعواهم يسمون قسامة.

ولما أراد الله تعالى أن يرفعه مكاناً علياً وأن يجعل له ذكراً خالداً على مر الدهور أضاف إلى عائلته إنسان الهداية وصاحب شرف العرب النبي العربي، ذلك لما توفي جده عبد المطلب، وكان ذلك حوالي سنة ٥٧٨ ميلادية، وعمر النبي ﷺ إذ ذاك ثمان سنين، فانفرد أبو طالب عليه السلام في كفالته ﷺ وضمه إلى كنفه، وأحله محلاً علياً من قلبه، وأصغى إليه بوداده، وقدّمه في سائر الشؤون على كافة أولاده ـ كما في السيرة الحلبية.(١)

وكذا كانت تصنع معه ﷺ فاطمة بنت أسد عليها السلام، تخصه بكل اعتناء، وتفضله بالحباء، وتحنو عليه بأفضل ما تحنو والدة على ولد، فنشأ ﷺ بين هذه العائلة في حجري أبي طالب وبنت أسد، وشب في ذلك البيت الرفيع العماد، والذي سبق بعنايته تعالى أن يخرج منه الهدى والنور للعالم بأسره، فياله من بيت شرف الله تعالى مقامه وأقام دعامه وأجل شأنه وفضله على بيوتات العالمين، وما أطيب نشره وأنمى غرسه، منه عبق طيب النبوة فعطر المشرق والمغرب، وفيه نما غرس الوصاية، وبه أكمل الله الدين وأتم النعم.

فلك أبا طالب سعادة الأبد في ابن أخيك نبي العالم وعظيم بني آدم، ولك الغبطة في أهلك وولدك أبطال السيف والقلم وأقطاب رحى العلم والحكم، فأنت بما أوتيت من هذه السعادة جدير بأن يخلد ذكرك ما خلد الدهر وما هتف باسم محمّد ﷺ وما تلي قرآنه قانون الأبد وتبيان كل شيء.

[كفالته للنبي ﷺ]:

وكانت مهمة أبي طالب عليه السلام الوحيدة حينما انفرد بكفالة النبي ﷺ العناية التامة بخدمته ﷺ والقيام بواجبها أحسن قيام حسب ما تقتضيه عقود

(١) ج ١: ٣١٣/ ط مصر.

عمره صلى الله عليه وآله، ذلك لما آنس منه الاستعداد الذي امتاز به عن سائر البشر، ولما تفرّس به فحائل سيادة العالم.

(أمّا) العقد الأوّل، فقد عنى في تربيته الجسدية جداً كما يظهر لنا من السير، وفي ذلك العقد ظهر من مواهب محمّد صلى الله عليه وآله ما بهر شيوخ الحكمة وأدهش فلاسفة العلم، ولذا كانت آمال أبي طالب عليه السلام تزداد فيه شيئاً فشيئاً، الأمر الذي كان من شأنه أن يستأنف نشاطه في النهوض بمهمات النبي صلى الله عليه وآله والقيام بخدماته.

(وأمّا) العقد الثاني، فإنه لما بلغ النبي صلى الله عليه وآله الثانية عشر من سنين عمره سار به أبو طالب عليه السلام إلى الشام كما هو في طبقات ابن سعد[1] ليوقفه على أحوال الأمم المختلفة والأقطار النائية المغايرة لإقليم قطره، تلك أصول التربية والتعليم، والنبي صلى الله عليه وآله وإنْ كان في غنية عن هذا بما آتاه الله من فضله غير أن أبا طالب عليه السلام أراد القيام بواجب التربية، وإن في سفر كمثل هذا السفر لمثل محمّد صلى الله عليه وآله العلم الكثير والفوائد الجمة؛ معرفة أحوال قرى ومدن ومواقع جغرافية، ومختلفات سير أمم وشعوب، واطلاع على عادات ومعتقدات، ومحور سياسة ملوك، وميول رعايا، واستكشاف آثار أمم ماضية وقرون خالية، وهذا ونحوه مدعاة للاستبصار والنظر والإمعان بالفكر.

في ذلك السفر الميمون فتحت في وجه أبي طالب عليه السلام الآمال الجسام، ذلك بما سمعه من الرهبان أمثال بحيرا _ على ما ذكره ابن هشام في سيرته _[2] مما سيكون لابن أخيه من الشأن والعظمة في الأرض والسماء، وبما شاهده بأم عينه مما حصل لابن أخيه صلى الله عليه وآله من خوارق العادات؛ نظير

---

(١) ج ١: ١٢١.

(٢) ج ١: ١٦٩/ ط مصر.

تظليل الغمام له، وبهذا تحقق ما كان يسمعه قبل ذلك من أبيه عبد المطلب عليه السلام في شأنه، ولما بلغ النبي صلى الله عليه وآله الرابعة عشر أحضره أبو طالب معه في حرب فجار البراض ـ كما في السيرة الحلبية ـ[1] وهي حرب هاجت بين كنانة وبين قيس، فعاونت قريش كنانة، ذلك ليريه كيف تكون منازلة الأقران ومقارعة الفرسان، إلى غير ذلك من المهمات الحربية.

(وأمّا) العقد الثالث، فإنه لما بلغ النبي صلى الله عليه وآله الخامسة والعشرين كان هم أبي طالب عليه السلام الوحيد جعله مستقلاً في الإدارة، وطفق يرتأي ويفكر في إيجاد ثروة له صلى الله عليه وآله تصلح لإدارة شؤونه ليكون مكفه المؤونة في المعاش، فيتفرغ صلى الله عليه وآله للسعي وراء ما كان يتوسمه به أبو طالب من سيادة العالم بتقلده للوسام الإلهي، وضروري أن الثروة أعظم معين في النوائب وعند ملاقاة الشدائد والأهوال.

وبعد النظر العميق رأى أن أحسن شيء لما يحاوله وأقربه إنتاجاً أن يوجد صلة تجارية ومشاركة في الأرباح بين محمّد صلى الله عليه وآله وبين خديجة بنت خويلد سيدة القرشيات في عصرها حسباً ونسباً وهدياً وكمالاً وجمالاً، ذات الثراء والخول والإماء والتجارة الواسعة في ذلك المحيط، وكان نظر أبي طالب عليه السلام في ذلك وجل قصده انتقال ابن أخيه صلى الله عليه وآله مع خديجة من الصلة التجارية إلى الصلات الروحية، فتكون خديجة وما ملكت يدها في قبضته صلى الله عليه وآله، لما يعلمه يقيناً من أن السيدة الجليلة سوف يشغل فراغ قلبها حب محمّد صلى الله عليه وآله بما تراه منه، مضافاً إلى ما تسمعه عنه في المعاشرة والمعاملة من كمال ذاته ترى يُمنَ طلعة، وغرة جبين، وصدق حديث، وسماجة أخلاق، وسماحة نفس، وعز عشيرة، وطيب سريرة، وحسن سمعة، وجميل أُحدوثة، ووفور حجى، وقدسي ذات، وتفرد صفات.

---

(١) ج ١: ١٢٧/ ط مصر.

تلك نظرية أبي طالب عليه السلام، فلم يرد أن يكون مثل ابن أخيه صلى الله عليه وآله خاطباً، بل أراد أن يكون مخطوباً، ولذا أعد الأسباب لتزويجه وثرائه في آن واحد، وأتى الأمور من أبوابها في مهماته له صلى الله عليه وآله، شأن الوالد الشفيق الساهر على مصلحة ولده، ولم يذكر أبو طالب عليه السلام لابن أخيه الصادق الأمين ما مر بخاطره وما فكر فيه وما دبر، وإنما جاءه بطريق آخر هو عين الواقع على ما تقتضيه الحكمة والمتانة.

[التجارة مع خديجة عليها السلام]:

يقول صاحب السيرة الحلبية:(١) إن أبا طالب عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله: يا ابن أخي، أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان في القحط وألحت علينا سنون منكرة شديدة الجدب وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه إبل قومك قد حضر وقت خروجها إلى الشام للتجارة، وهذه خديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في إبلها فيتجرون لها ويصيبون منافع، فلو جئتها لذلك لأسرعت إليك وفضّلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك، وإن كنت لأكره أن تأتي الشام أخاف عليك من اليهود، ولكن لا نجد لك من ذلك بداً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «فلعلها ترسل إليَّ في ذلك»، فقال أبو طالب: إني أخاف أن تولي هذا العمل غيرك فتطلب أمراً مدبراً، فافترقا على ذلك.

فبلغ خديجة خبر ما دار بينهما، فقالت: ما علمت أنه يريد هذا، ثمّ أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وآله وهي تقول: إني دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجالاً من قومك، ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقي عمّه أبا طالب عليه السلام فذكر له ذلك، فقال: إن هذا الرزق ساقه الله إليك، فخرج صلى الله عليه وآله إلى الشام ومعه عبد

---

(١) ج ١: ١٣٢/ ط مصر.

لخديجة اسمه ميسرة، ولما بلغ ﷺ بصرى باع السلعة التي خرج بها فربح ومن معه ربحاً ما ربح التَجَرة قط مثله بيُمن طلعته، وشاهد ميسرة أموراً حصلت للنبي ﷺ هي من خوارق العادات لا يكون مثلها إلاّ لمن خصه الله بالعناية التامة، وفوق ذلك سمع من الرهبان في طريقه التبشير بنبوته، فحدّث ميسرة خديجة بذلك كله، وكانت خديجة رأت بأم عينها بعض ما حدّث به ميسرة، الأمر الذي سجل صدق حديث ميسرة، وبهذا تم لأبي طالب عليه السلام ما دبر، حيث وقعت هذه السيدة الجليلة بهوى النبي ﷺ.

وكذا أضحت حائرة بين عاملين قويين؛ دافع ومانع، يدفعها الشوق المبرح لعرض نفسها على صاحب الفضيلة، ويمنعها الحياء من أن تخطب لنفسها، حتّى إذا سأمت المقام والحالة هذه، ثمّ رأت أن مثل ابن عبد الله يخطب ولا يتحاش من خطبته بالرغم عن معاكسة العادات والمراسم، ومر بخاطرها أن في الهيبة الخيبة وفي الحياء الحرمان، ولذا أفضت بسرها لإحدى صديقاتها وكانت تثق بها وهي نفيسة بنت منية، قالت لها: يا نفيسة هل لك أن تستعلمي لي خفيةً حال محمّد ﷺ، فلعله يرغب في مثلي، فقالت نفيسة: حباً وكرامة، وتحملت نفيسة هذه الرسالة بنصح، فجاءت إلى النبي ﷺ _ كما في السيرة الحلبية _[1] وقالت: ما يمنعك أن تتزوج؟ قال ﷺ: «ما بيدي ما أتزوج به»، فقالت: فإن كفيتك ذلك ودعوتك إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تحب؟ قال: «فمن هي؟» قالت: خديجة، قال: «وكيف لي بذلك؟» قالت: بلى، وأنا أفعل، فرجعت نفيسة ميمونة النقيبة في هذه الرسالة تحمل شرف الأبد لخديجة، فأرسلت خديجة إلى النبي ﷺ تعين له الساعة التي يأتي فيها للخطبة، وأرسلت لذوي رحمها فأحضرتهم، وجاء رسول الله ﷺ مع جمع من أعمامه وفيهم سيدهم أبو طالب عليه السلام وهو الذي زوجه.

---

(١) ج ١: ١٣٧/ ط مصر.

[خطبة خديجة عليها السلام]:

فقال أبو طالب عليه السلام: في خطبته: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر، وجعلنا حَضَنة بيته وسواس حرمه، وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس، ثمّ إن ابن أخي هذا محمّد بن عبد الله لا يوازن به رجل إلاّ رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل وعارية مسترجعة، وله والله بعد هذا نبأ عظيم وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة، وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنا عشر أوقية ونشّاً[(١)]».

فقال ورقة بن نوفل: وأنتم والله أهل ذلك كله، لا ينكر العرب فضلكم، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، رغبتنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا علي معاشر قريش أني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمّد بن عبد الله وذكر المهر، فقال أبو طالب عليه السلام: أحببت أن يشركك عمّها.

فقال عمرو بن أسد: اشهدوا علي معاشر قريش أني أنكحت محمّد بن عبد الله خديجة بنت خويلد.

فأولم رسول الله صلى الله عليه وآله ونحر الإبل وأطعم الناس، ففرح أبو طالب عليه السلام الفرح الشديد وقال على ما في السيرة الحلبية:[(٢)] «الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم».

وكذا بقي أبو طالب عليه السلام بقية العقد الثالث وحتّى أواخر العقد الرابع

---

(١) الأوقية: أربعون درهماً، والنش: نصف الأوقية، أي عشرون درهماً، وكان ذلك المسمى من الذهب، فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعياً، وذلك يساوي ١٧٥ ليرة عثمانية تقريباً في عصرنا هذا.

(٢) ج ١: ١٣٩/ ط مصر.

من سني عمر النبي ﷺ مغتبطاً به ﷺ، وبما ساقه الله إليه من الخير الكثير بزواج سيدة القرشيات.

ومن باب:

وإذا استطال الشيء قام بنفسه　　　وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

لم نتعرض لشيء من أحوال هذه السيدة الجليلة التي لها الأيادي البيض على الإسلام على أن ذلك خروجاً عن الموضوع أيضاً.

[نزول الوحي على النبي ﷺ]:

وكان أبو طالب عليه السلام يزداد سروراً كلما ازدادت منزلة محمّد ﷺ في نفوس قريش، غير أنه بفارغ الصبر كان ينتظر يوماً يُعطى به محمّد الوسام الإلهي، يوماً يهبط الناموس الأكبر من لدن جبار السماوات والأرض ويعقد على ذلك اليوم وما بعده نصرته، ولما كانت السنة الأخيرة من العقد الرابع تلك سنة أربعين من سني عمره ﷺ أكرمه الله بالرسالة في حراء بواسطة السفير جبرئيل، حيث ناداه: «يا محمّد أنا جبرئيل وأنت رسول الله لهذه الأمّة».

ثمّ تتابع عليه الوحي، فنهض عند ذلك بتبليغ ما أمر به، فكان أوّل ما فعله ﷺ من تبليغ رسالة ربه كما رواه جمع من المؤرخين عن ابن عبّاس: أنه ﷺ صعد على الصفا فهتف: «يا صباحاه»، فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان ويا بني فلان حتّى عدّ أكثر بطون قريش، أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج إليكم من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما خبرنا عليك كذباً وإنك فينا الصادق الأمين، فقال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قولوا: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله»، فقاموا ينفضون أثوابهم ويقولون: جعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا إلاّ اختلاق، ورماه أبو جهل لعنه الله بحجر فشج جبهته فسالت الدماء على كريمته المباركة، وتتابعت عليه قريش يرمونه

بالحجارة، فخرج صلى الله عليه وآله هارباً منهم إلى الجبال، وخرج عليّ في طلبه بعد ما بلغه صنع قريش به، وخرجت معه خديجة، فأخذ عليّ وادياً وخديجة آخر وهما يناديان: يا أبا القاسماه يا محمّداه في أي وادٍ أنت ملقى؟ وكان جبرئيل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله فلما نظر إلى خديجة تقوم وتقع وقد أبكت لبكائها ملائكة السماء، فقال: يا محمّد أوَما تنظر خديجة كيف أبكت ملائكة السماء؟ فادعها إليك، فدعاها النبي صلى الله عليه وآله، فلما انتهت إليه ورأته سالماً اطمأنت وذهب روعها.(١)

* * *

---

(١) أنظر نحو هذا في: بحار الأنوار ١٨: ٢٤٢.

[بداية الدعوة وموقف أبي طالب عليه السلام]

﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَمَنْ حَوْلَها وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.[1]

عندما أمر الله تعالى محمّداً صلى الله عليه وآله بإظهار دعوته وذلك في السنة الرابعة من البعثة قال صلى الله عليه وآله لعمّه العبّاس كما في غاية السؤول عن إبراهيم الحنبلي بأسانيد عديدة: «إن الله تعالى أمرني بإظهار أمري، فما عندك؟» فقال له العبّاس: يا بن أخي تعلم أنّ قريشاً أشد حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطمّاء والداهية العظماء ورمينا عن قوس واحد، لكن قرب إلى عمّك أبي طالب فإنه أكبر أعمامك، إن لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه فلما رآهما أبو طالب قال: ما جاء بكما في هذا الوقت؟ فأخبره العبّاس بالحال، فنظر إليه أبو طالب وقال: يا بن أخي إنك الرفيع كعباً والمنيع حزباً والأعلى أباً، والله لا يسلقك[2] لسان إلاّ سلقته ألسن حداد واجتذبته سيوف حداد، والله لتذللن لك العرب، ولقد كان أبي يقرأ الكتب جميعاً، ولقد قال: إنّ من صلبي لنبياً، لوددت أني أدركت ذلك فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به، الخبر.[3]

---

(١) الشورى: ٧.

(٢) أسلقه: أي آذاه.

(٣) غاية السؤول للحنبلي؛ عنه ابن طاووس في الطرائف: ٣٠٢/ ح ٣٨٨.

[دعوة النبي صلى الله عليه وآله لعشيرته]:

وقد ذكر في تفسير: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[١]: أن النبي صلى الله عليه وآله قد جمع أسرته في بيت أبي طالب عليه السلام وقام يدعوهم لما أمر به، فعارضه أبو لهب كما هو مذكور في السير جمعاء، فقال أبو طالب: اسكت يا أعور، ما أنت وهذا، ثمّ قال للنبي صلى الله عليه وآله: قم يا سيدي وتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك فإنك الصادق الصديق.[٢]

وفي السيرة الحلبية[٣] عند تفسيرها: قام رسول الله صلى الله عليه وآله في أسرته وقال: «يا بني عبد المطلب إن الله تعالى قد بعثني إلى الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان؛ شهادة أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي؟» فلم يجبه أحد، فقام عليّ عليه السلام فقال: «أنا يا رسول الله»، قال: «اجلس»، ثمّ أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا، فقام عليّ عليه السلام وقال: «أنا يا رسول الله»، فقال: «اجلس»، ثمّ أعاد القول على القوم ثالثاً، فلم يجبه أحد منهم، فقام عليّ عليه السلام فقال: «أنا يا رسول الله»، فقال صلى الله عليه وآله: «اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي».

قال: وصار كفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان صلى الله عليه وآله إذا مرَ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه ويقولون: إن غلام بني عبد المطلب لَيُكلم من السماء، وكان ذلك رأيهم حتّى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آبائهم، إلى أن مرَ عليهم يوماً

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) الطرائف: ٢٩٩/ ح ٣٨٥.

(٣) ج ١: ٣١١/ ط مصر.

وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام، فقال: «يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملّة أبيكم إبراهيم»، فقالوا: إنما نعبد الأصنام حبّاً لله لتقربنا إليه زلفاً، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1] فتناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته ورموه عن قوس واحد، وأخذوا يجتمعون ويتفرقون للنظر والرأي في إقناعه ﷺ بالرجوع عن سبيل الهدى، وعملوا لذلك أعمالاً ذكرها التاريخ، منها سعيهم إلى دار أبي طالب عليه السلام وقولهم له: إن ابن أخيك قد سَب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آبائنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فردهم أبو طالب عليه السلام حسبما تقتضيه الحكمة من شدة ولين، ومضى رسول الله ﷺ يظهر دين الله ويدعو إليه لا يردّه عن ذلك شيء حتّى تباعد الرجال وتضاغنوا وحث بعضهم بعضاً على حربه وعداوته ومقاطعته.

ثمّ إنهم مشوا إلى أبي طالب مرةً أخرى فقالوا: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم وعيب وتسفيه حتّى تفكه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتّى يهلك أحد الفريقين، ثمّ انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب عليه السلام فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بأن يخذل النبي ﷺ، فقال له: يا بن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فابق عليَّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق.

فظن رسول الله ﷺ أن عمه خاذله وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال له: «يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته»، ثمّ استعبر ﷺ باكياً وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي، فأقبل عليه، فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّى أوسد في التراب دفينا

---

(١) آل عمران: ٣١.

ولما عرفت قريش أن أبا طالب عليه السلام قد أبى خذلان النبي صلى الله عليه وآله وإسلامه إليهم، ورأوا إجماعه على مقاومتهم وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد المخزومي ـ وكان أجمل فتىً في قريش ـ فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة أبهى فتىً في قريش وأجمل فخذه إليك فاتخذه ولداً فهو لك، وسلم لنا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق قومك وسفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل كرجل، فقال لهم: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلوه، والله لا يكون أبداً، أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها؟

وبذلك علموا أن أبا طالب عليه السلام سيمنع محمّداً صلى الله عليه وآله منهم بكل قواه ما دام فيه عرق ينبض، وهالهم ما رأوه من دهائه في ترويج دعوته صلى الله عليه وآله من حيث يخفى بما أُوتي من المواهب وما مَر عليه من التجارب في معترك هذه الحياة.

تحققوا ذلك كله بما شاهدوه منه في مختلفات الجلسات وسمعوه عنه في شتى الأنات، فتارة يأمر ابنه جعفر عليه السلام بالصلاة خلفه، حيث رأى الناس محمّداً صلى الله عليه وآله يصلي وإلى جانبه عليّاً عليه السلام، فيقول لجعفر: صل جناح ابن عمك كما أخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة،[1] وأخرى يقول لأخيه حمزة حينما أسلم:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد   وكن مظهراً للدين وفقت صابرا

وثالثة يخاطب محمّداً صلى الله عليه وآله بعد مجيء القوم بصدد الاستعانة به على إسكاته صلى الله عليه وآله عن أمر الدعوة فيقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتّى أوسّد في التراب دفينا

إلى غير ذلك مما يطول مقداره.

لذلك كله اشتد الأمر واحتدم، وتوترت العلائق بين أبي طالب عليه السلام والقرشيين العتاة، فأخذوا يؤذونه بإيذاء محمّد صلى الله عليه وآله بكل طريق.

---

(١) الإصابة ٧: ١٩٨.

[معاهدة قريش]:

وحين ظهر الإسلام في القبائل كبر ذلك على قريش، فتضاعف أذاهم، واشتوروا فيما بينهم على قتل محمّد ﷺ علانية، ولذا جمع أبو طالب عليه السلام بني هاشم وبني المطلب وأمرهم أن يدخلوا برسول الله الشعب ليكون بذلك أمنع من جبهة الأسد، وحين رأت قريش ذلك أجمع رأيهم ـ على ما ذكر ابن هشام في السيرة الحلبية ـ[1] على أن يكتبوا عهداً بتوقيع الجميع على أن لا يجالسوا بني هاشم والمطلب، وأن يضيقوا عليهم بمنعهم من حضور الأسواق، وأن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يقبلوا لهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتّى يسلموا رسول الله ﷺ إليهم فيصنعون به ما يرومون من القتل والتعذيب وغير ذلك.

فلما علم أبو طالب بهذه الحال ـ على ما ذكر ابن هشام في السيرة[2] والدحلاني في أسنى المطالب[3] ـ فقال يستعطفهم ويحذرهم الحرب وقطيعة الرحم وينهاهم عن اتباع السفهاء ويعلمهم استمراره على مؤازرة النبي ﷺ وينبههم على فضله ويضرب لهم المثل بناقة صالح عليه السلام:

ألا أبلغا عني على ذات بينها	لؤيّاً وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً	نبياً كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبةً	ولا حيف فيمن خصّه الله بالحب
وإن الذي لفقتم في كتابكم	يكون لكم يوماً كراغية السقبِ[4]

---

(١) ج ١: ٣١٩/ ط مصر.

(٢) ج ١: ٣٢٠.

(٣) ص ١٠.

(٤) يشير بذلك إلى قصة فصيل ناقة صالح عليه السلام، فالراغية من الرغاء وهو صوت الإبل، والسقب: ولد الناقة.

أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبى[1] ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنبِ
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا أواصرنا بعد المودّة والقربِ
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما أمرّ على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً لعزاء من عضّ الزمان ولا حرب

إلخ.

فكتبوا هذه المعاهدة ووقع القوم عليها وعلقوها في الكعبة، فمكث بنو هاشم في حصار الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين، فأصابتهم ضائقة في العيش شديدة، وقد أبلى أبو طالب عليه السلام وخديجة البلاء الحسن في تهيئة المؤونة والأقوات الضرورية مدة الحصار كلها، ولما أراد الله أن يكشف الغم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أسرته المرابطة المجاهدة بين يديه حيث لا ناصر سواهم ولا معين سلط على معاهدة قريش الأرضة فأكلتها، وأوحى الله إلى رسوله بالأمر، فأخبر عمّه أبا طالب، فأقبل أبو طالب على قريش وهم في أنديتهم وأخبرهم بما صنع الله في صحيفتهم وأن محمّداً أخبره بذلك، ثمّ قال: إن كان الحديث كما يقول ابن لأخي فأفيقوا، وإن لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتّى نموت عن آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا، فقالوا: قد رضينا بما تقول، ثمّ فتحوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر به الصادق الأمين.

وعندما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب عليه السلام قالوا: هذا سحر ابن أخيك، وزادهم ذلك بغياً وعتواً وعدواناً، فقال لهم أبو طالب: علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة، ثمّ دخل بين أستار الكعبة ودخل معه بنو هاشم قائلين: اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا، ثمّ انصرفوا إلى الشعب.

---

(١) الزبى: جمع الزبية، وهو ما يحفر للأسد، وهو كناية عن تهيؤ الفتن والشرور لهم.

قال ابن الأثير في الكامل:[١] وقال أبو طالب (عليه السلام) في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتاً منها:

وقد كان من أمر الصحيفة عبرة ... متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محى الله منها كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحق معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ... ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

وآنئذٍ مشى في نقض الصحيفة المعاهدة نفر من قريش، وهم: هشام بن عمرو بن الحرث، وزهير بن أمية ابن عمّة النبي (صلى الله عليه وآله) عاتكة، والمطعم بن عدي، وأبو البختري ابن هشام، وزمعة بن الأسود، وتم لهم ذلك بالرغم من معاطي[٢] أبي جهل وأحزابه الذين أصروا على استمرار قريش في المقاطعة لبني هاشم والمطلب، وارتفعت الشدّة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وذوي رحمه فعادوا إلى ما كانوا عليه قبل الحصار، كما هو مذكور على التفصيل في السير والتواريخ.

[نموذج من حماية أبي طالب (عليه السلام) للنبي (صلى الله عليه وآله)]:

ولقد سطر لنا التاريخ من مواقف أبي طالب الرهيبة في إرهاب قريش وكبح جماحهم وقمع شوكتهم وإرجاعهم بالقواسر[٣] الفعالة والقوة عما كان يختلج في أفئدتهم من آن إلى آخر من اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) ما نقله عبد الرحمن بن محمّد الجوزي المحدّث البغدادي[٤] عن الواقدي،[٥] وذكره أيضاً كاتب

(١) ج ٢: ٣٣.

(٢) كذا في المخطوط، والظاهر أن المراد: معارضة، وهو ما يقتضيه السياق.

(٣) القواسر: القواهر.

(٤) وكان ممن يرى كفر أبي طالب.

(٥) أنظر: كتاب الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٦١؛ عنه بحار الأنوار ٣٥: ٩٨؛ والغدير ٧: ٣٥٠.

الواقدي محمّد بن سعد في طبقاته الكبرى،[١] وكما ذكره الدحلاني في أسنى المطالب[٢] والزمخشري في الكشاف.[٣]

وفي السيرة النبوية قال الواقدي: كان أبو طالب عليه السلام لا يغيب صباح النبي صلى الله عليه وآله ومسائه، وكان يحرسه من أعدائه ويخاف أن يغتالوه، فلما كان ذات يوم فقده فلم يره وجاء المساء فلم يره، وأصبح فطلبه في مظانه فلم يجده، فجمع ولده وعبيده ومن يلزمه في نفسه، فقال: إن محمّداً فقد في أمسنا ويومنا هذا، ولا أظن إلاّ أن قريشاً قد اغتالته وكادته، وقد طلبته فلم أجده، وقد بقي هذا الوجه ما جئته وبعيدٌ أن يكون فيه، ثمّ أعطاهم السكاكين وفيهم من عبيده عشرون رجلاً، ثمّ قال لهم: ليمضي كل رجل منكم وليجلس إلى جنب سيّد من سادات قريش، فمضوا وشحذوا سكاكينهم، ومضى أبو طالب عليه السلام في الوجه الذي أراده ومعه رهط من قومه وهو يقول: يا لها من عظيمة إن لم نواف محمّداً، فوجده في أسفل مكّة قائماً يصلي إلى جانب صخرة، فوقع عليه أبو طالب يقبله، وأخذ بيده وقال: يا بن أخي سر معي، فأخذ بيده وجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوس عند الكعبة، فلما رأوه قد جاء ويده في يد النبي صلى الله عليه وآله قالوا: هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمّد وإن له لشأناً، فلما وقف عليهم والغضب يُعرف في وجهه قال لغلمانه: أبرزوا ما بأيديكم، فأبرز كل واحد منهم ما في يده، فلما رأوا السكاكين قالوا: ما هذا يا أبا طالب؟ قال: هو ما ترونه، إني طلبت محمّداً صلى الله عليه وآله فما رأيته منذ يومين، فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم، فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم إن جئت وما محمّد معي فليضرب كل واحد منكم صاحبه الذي

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ١٣٥/ ط ليدن.

(٢) ص ١٠.

(٣) ج ١: ٤٤٨.

إلى جنبه ولو كان هاشمياً، فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟ قال: أي وربّ هذه البنيّة _ وأومئ إلى الكعبة _ فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف _ وكان من أحلافه _: لقد كدت أن تأتي على قومك، قال: هو ذاك. فانتفت قريش اغتياله ﷺ منذ ذلك اليوم، ورجعت على أبي طالب بالاستعطاف وهو لا يحفل بهم، ومضى وهو يقول:

اذهب بني فما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا[1]

ومن ذلك ما ذكره محمّد بن الحسن المهلبي في كتابه أنوار البدرية[2] وهو لم يطبع حتّى الآن يقول: لما توفي عبد المطلب قام أبو طالب عليه السلام يمنع رسول الله ﷺ أحسن قيام، وحماه من كل أحد من الأجانب والأعمام، ومن اليهود؛ لأنهم كانوا قد حسدوه على ما آتاه الله تعالى، حتّى أن رسول الله ﷺ صلّى يوماً بمكّة، فجاء رجل من قريش وبيده كرش فنفضه على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد، فلما فرغ من صلواته نفضه وقال: «اللهم اغفر لقومي إنهم لا يعلمون أني نبيك». ثمّ ذهب إلى أهله، وكان الخبر قد سبق إليهم، وكان أبو طالب عليه السلام غائباً، فوافق مجيئه بمجيء رسول الله ﷺ، فرآه كئيباً، فقال له: ما بالك يا حبيبي؟ فسكت، فقالت جارية له: إن رجلاً من قريش نفض عليه كرشاً وهو ساجد، فلما سمع أبو طالب عليه السلام غضب وخرج على هيئة السفر بيده سيفه يعدو وراءه غلمانه ويتبعهم إخوانه، وكل يقول: ما أغضب شيخ البطحاء؟ ولا يدرون ما السبب، فلم يزل أبو طالب يشتد حتّى وقف بالأبطح، فقال لأخيه العبّاس: نادي بقريش أن تجتمع _ وكان العبّاس جهوري الصوت رفيعه، ولقد صاح يوماً بحنين وقد رأى خيلاً مقبلة فصاح واصباحاه، فأسقطت الحوامل من وقع صوته، ورأى يوماً أسداً فصاح به فانشقت مرارته _ فصاح بقريش فاجتمعت بالأبطح، فقام فيهم أبو

---

(١) أنظر: السيرة الحلبية ١: ٣٠٥؛ عنه الغدير ٧: ٣٣٤.

(٢) ص ٣٨٢.

طالب عليه السلام منادياً وقد تخافتوا من خيفته وخرست ألسنتهم من هيبته، فقال: يا معاشر قريش، من الفاعل بمحمّد ما فعل؟ فسكتوا ولم يتكلموا، قال: من فعل ذاك فليقر به معلناً، ثمّ قال ثالثاً، فلم يجبه أحد من قريش، فنظر أبو طالب عليه السلام إلى نوق هناك، فقال لغلمانه: ابعجوا بطون النوق بأسيافكم وأتوني بأكراشها وحباً، فتعادا غلمانه إلى النوق فبعجوا بطونها وأتوه بأكراشها، فقال: الطخوا بها شوارب قريش وسبالهم ومعاطسهم عن آخرهم، ففعلوا ذلك، ثمّ قال: يا معاشر قريش، ورب هذه البنية لئن أقمتم على جحودكم وإنكاركم لمحمّد لأفعلنّ بكم ما هو أشد، فقالت قريش: يا شيخ البطحاء على هينتك[1] سنأتيك به، ثمّ قادوا ذلك الرجل إليه فقطع يديه وجدع أنفه وأذنيه، ثمّ تعادا عليه غلمانه فقطعوه قطعاً قطعاً ورموه بين قريش، فالتفت أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: أيرضيك هذا يا حبيبي؟

* * *

---

(١) أي: تمهل وتأني.

[دفاع أبي طالب عن المسلمين]

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.[1]

ليس للنبي ﷺ ولأصحابه المستضعفين من المسلمين مقام بمكّة بعد أبي طالب عليه السلام، إذ كان يدافع عنهم بجهده ويحميهم بنفسه ويغضب الغضب الشديد عند إيذاء قريش لهم، يقول مجمع التواريخ: إن قريشاً لما رأت ضعفها عن النبي ﷺ لنصرة أبي طالب عليه السلام له أخذ يعذب كل قوم من عندهم من المؤمنين ويحثوهم على الرجوع عن دينهم، وأبو طالب عليه السلام يناجز قريشاً على ذلك.

قال ابن إسحاق في كتاب المغازي:[2] إن أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي لما وثب عليه قومه ليعذبوه ويفتنوه عن الإسلام هرب منهم فاستجار بأبي طالب عليه السلام _ وقد كانت والدة أبي طالب مخزومية _ فأجاره، فمشى إليه رجال من بني مخزوم وقالوا: يا أبا طالب هبك منعت منا ابن أخيك محمّداً، فما بالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي، فأكثروا عليه النزاع وارتفع الصوت واللغط، فخافوا الفتنة فانصرفوا.

وكان عثمان بن مظعون الجمحي رضي الله عنه ممن شرح الله صدره للإيمان

---

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٤: ٥٦.

ووفقه للإسلام، فكان يقف في مجامع قريش وأنديتهم ويعظهم ويأمرهم باتباع النبي صلى الله عليه وآله وتصديقه، ويحذرهم من النار وعذاب الآخرة، فوثب عليه سفهاؤهم ففقأوا عينه، فنهض أبو طالب عليه السلام في أمره وأخذ له بحقّه، وقال في ذلك _ على ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه _:[1]

أمن تذكر دهرٍ غير مأمون	أصبحت مكتئباً تبكي لمحزون
أمن تذكر أقوام ذوي سفهٍ	يغشون بالظلم من يدعى إلى الدين
لا ينتهون عن الفحشاء ما أمروا	والغدر فيهم سبيل غير مأمون
ألا يرون أذل الله جمعهم	إنا غضبنا لعثمان بن مظعون
إذ يلطمون ولا يخشون مقلته	طعناً دراكاً وضرباً غير موهون
فسوف نجزيهم إن لم نمت عجلاً	كيلاً بكيل جزاءً غير مغبون
أو ينتهون عن الأمر الذي وقفوا	فيه ويرضون منا بعد بالدون
ونمنع الضيم من يبغي مضامتنا	بكل مطردٍ في الكف مسنون
ومرهفات كأن الملح خالطها	يشفى بها الداء من هام المجانين
حتى تقر رجالاً لا حلوم لها	بعد الصعوبة بالأسماح واللين
أو يؤمنوا بكتاب منزلٍ عجب	على نبّي كموسى أو كذي النون
يأتي بأمرٍ جلي غير ذي عوجٍ	كما تبين في آيات ياسين

[أبو طالب ينفذ وصية أبيه]:

قام أبو طالب عليه السلام بهذا الواجب الذي قيده به عبد المطلب عند موته من كفالةٍ وحمايةٍ ودفاع، وذلك أن عبد المطلب عند موته جمع بنيه فطافوا به

(١) ج ١٤: ٧٣.

كما تطوف أشبال الأسد بالأسد، فقال: يا بني، قد علمتم شدة حبي لمحمّد ووجدي به، فانظروا كيف تحفظوني به، فقالوا: كما يجب وكما تحب، فقال: إن محمّداً يتيم فآووه، وعائلٌ فأغنوه، فقال النبي ﷺ: «يا أبة لا تحزن إن لي رباً لا يضيعني»، فقال: كذلك الظن بربك، ثمّ التفت إلى أولاده فقال: من يكفله منكم فتطمئن نفسي بكفالته؟ فقال العبّاس: أنا له، فقال: أنت كثير الغضب ولعلك تؤذيه، فقال أبو لهب لعنه الله: أنا له، فقال: كف شرك عنه وكفى، فقال أبو طالب عليه السلام _ وكان أخا عبد الله لأُم وأب _: أنا له، فقال: أنت له حقّاً، فأمسك أبو طالب بمحمّد ﷺ وقام بأمره يحميه بنفسه وماله وجاهه في صغره من اليهود المرصدين له بالعداوة ومن العرب قاطبة ومن بني أعمامه، لأنهم حسدوه على ما آتاه الله تعالى.

[وصية أبي طالب]:

قال الآلوسي في بلوغ الأرب،[1] والديار بكري في تاريخ الخميس،[2] والدحلاني في أسناه،[3] والحلبي في سيرته،[4] تقول نسخة بلوغ الأرب:

عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبي: إنه لما حضرت أبا طالب عليه السلام الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم، فقال: يا معاشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع، الواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلاّ أحرزتموه، ولا شرفاً إلاّ أدركتموه، فلكم لذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب، وعلى حربكم ألب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية _

(١) ج ١: ٣٢٧ و٣٢٨/ ط: الثانية.

(٢) ج ١: ٣٢٩/ ط: الأولى.

(٣) أسنى المطالب: ٥.

(٤) ج ١: ٣٥٢/ ط: مصر.

يعني الكعبة _ فإن فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، اتركوا البغي والعقوق، ففيها هلكت القرون قبلكم، أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، فإن فيها شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام.

وإني أوصيكم بمحمّد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له بلادها[1]، وأعطته قيادها، فيا معشر قريش كونوا له ولاةً، ولحزبه حماةً، والله لا يسلك أحد سبيله إلاّ رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلاّ سعد، ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخيراً لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي.

هذا ما جاء في بلوغ الأرب، وزاد في روضة الواعظين[2] قوله: غير أني أشهد بشهادته وأعظم مقالته.

ولما توفي أبو طالب عليه السلام صار له يومٌ مشهود في شعوب قريش وقبائلها جمعاء، وعز سمعه على الجميع، وخص آل هاشم وبني عبد المطلب وآل أبي طالب، ومن البديهي أن مكانة شيخ الأبطح وبروز شخصيته فيها هي

---

(١) في بعض المصادر: وأصغت له فؤادها.

(٢) ص ١٤٠.

وحدها مدعاة لأن يكون يومه يوماً مشهوداً، يقول أبو الحسن البكري في كتاب مولد أمير المؤمنين عليه السلام: شققن النساء على أبي طالب الجيوب، ونشرن الشعور، وشمل الحزن جميع شعاب مكّة وشعوبها.

وقد ذكر السيد فخار بن معد في كتابه(١) أبياتاً لأمير المؤمنين عليه السلام يرثي فيها أباه، منها:

أبا طالبٍ عصمة المستجير ... وغيثُ المحول ونور الظلم

لقد هد فقدك أهل الحفاظ ... فصلى عليك ولي النعم(٢)

[حزن النبي صلى الله عليه وآله لفقد عمّه]:

واختص هذا المصاب بمحمّد صلى الله عليه وآله، علاوة على ذلك بالخصوص، فإن علاقتَي النبي صلى الله عليه وآله الودية والسياسية الصميمتين كانتا مقصورتين على أبي طالب عليه السلام، فبفقده فقد النبي صلى الله عليه وآله أباً عطوفاً ومستشاره الوحيد في مهمات أعماله، وبدفنه دفن جميع آماله المعجلة في أم القرى.

وهذه الخصوصية الثانية لم تكن لسواه مع أبي طالب عليه السلام، فآل مناف وإن شاركوه في التأثر لفقد أبي طالب من حيث المحبة والرحم كل بحسبه فيهما، غير أنهم لم يشاركوه في الجهة الثانية، ولقد نهض أبو طالب عليه السلام يوم كان بواجب العلاقتين أيّما نهوض، فإن أبا القاسم محمّداً صلى الله عليه وآله هو الذي ميزه أبو طالب بمحبته ومَحَضَه وآثَرَهُ بإعزازه، واختصه بنصرته، فكم جاهد بين يديه وجالد، وكم أغضب وأُغضِب في سبيله وباعد، فكان بذلك كلّه أبا عطوفاً يفدي النبي صلى الله عليه وآله بنفسه وأهله وماله وولده، ويجد بذلك كلّه قرة عين وبرد فؤاد وجذل ظفر وصفقة ربح، فلذلك اختص المنقذ الأعظم صلى الله عليه وآله

---

(١) الحجة للذاهب إلى إيمان أبي طالب: ٢٤.

(٢) أنظر هذه الأبيات كذلك في: تذكرة الخواص: ٦؛ بحار الأنوار ٣٥: ١١٤؛ الغدير ٧: ٣٧٨.

بالخصوص جليل رزئه وفادح خطبه وألم مصابه، وعليه فهل يستبعد من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وقوفه في مواطن عديدة لتأبين عمّه قياماً بواجب شكره وأداءاً لحق إحسانه وبره؟

نعم، قام صلى الله عليه وآله في مواطن كثيرة يؤبنه ويبكيه ويعدد نعمه عليه وأياديه، فمنها: عندما وقف عليه وهو مسجىً كما رواه ابن بابويه في الأمالي[١] فقال: «يا عم، كفلت يتيماً، وربيت صغيراً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً».

ومنها: لما رفع نعشه بعد ما غسله عليّ عليه السلام وحنطه وكفنه بأمر النبي صلى الله عليه وآله كما في أسنى المطالب للدحلاني،[٢] وذكر ابن سعد[٣] وابن عساكر[٤] وفي السيرة الحلبية،[٥] حيث خرج صلى الله عليه وآله ليشيعه فاعترض النعش وقال ـ كما في البحار للمجلسي (أعلى الله مقامه)،[٦] وفي الإصابة[٧] ذكره ابن حجر بتصرف واختصار ـ برقة وحزن وكآبة: وصلت رحماً، وجزيت خيراً يا عم، فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً.

ومنها: لما وضعه صلى الله عليه وآله في لحده، فإنه بكى، وقال ـ كما يرويه البكري في كتاب (مولد أمير المؤمنين عليه السلام) ـ:[٨] «وا أبتاه، وا أبا طالباه، وا حزناه

---

(١) ص ٤٩٨.

(٢) ص ٢٤.

(٣) الطبقات الكبرى ١: ١٢٣.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣٣٥.

(٥) ج ١: ٩٦/ ط: مصر.

(٦) ج ٣٥: ١٢٥.

(٧) ج ٧: ١٩٨.

(٨) هو أبو الحسن البكري المصري الصوفي، المتوفى سنة ٩٥٢ هجرية، كان من أعلام عصره، ومن مشائخ الشهيد الثاني.

عليك، يا عمّاه كيف أسلو عنك، يا من ربيتني صغيراً، وأجبتني كبيراً، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد».

هذه الكلمات هي من جوامع الكلم أغنت عن جمل مطولة وخطابات مفصلة، فقد مرّ ﷺ على تاريخ حياة عمّه أبي طالب عليه السلام معه في حسن الرعاية وجليل العناية بكلمات أربع؛ كفلت، ربيت، أجبت، نصرت.

وأنت ترى إذا رجعت إلى قوله ﷺ: «وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد» علمت مقدار حفاظه ومحافظته وحياطته له ﷺ، وبحق أن التاريخ لو لم يذكر عن أبي طالب شيئاً لعرفنا التفاصيل كلها بهذه الكلمات الوجيزة، ولكانت هي وحدها تتكفل شرح ما هو مبهم لدينا من أحواله.

إن النبي ﷺ لم يكن ليقتصر على ذكره لأبي طالب في هذه المواطن، بل ما زال يذكره ويشكره مدة عمره، ويرشدك إلى ذلك ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه[1] من أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ في عام جدب، فقال: أتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا صبي يرضع ولا شارف يجتر، ثمّ أنشد:

أتيناك والعذراء تدمى لبانها وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل

كما مر، إلى قوله: حتى ألقت السماء أرواقها، وجاء الناس يضجون الغرق الغرق يا رسول الله، فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» فانجاب السحاب عن المدينة حتّى استدار حولها كالإكليل، فضحك رسول الله ﷺ حتّى بدت نواجذه، ثمّ قال: «لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عينه، من ينشدنا قوله؟» فقام عليّ عليه السلام فقال: «يا رسول الله لعلك أردت: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه؟» فقال ﷺ: «أجل»، فأنشد أبياتاً من هذه القصيدة ورسول الله ﷺ يستغفر لأبي طالب على المنبر، ثمّ قام رجل من كنانة وأنشد:

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٤: ٨٠

لـك الحمـد والحمـد ممـن شـكر سـقينا بوجـه النبـي المطـر
دعـا الله خالقـه دعـوة إليـه وأشـخص منـه البـصر
فمـا كـان إلا كمـا سـاعةٍ أو أقـصر حتـى رأينـا الـدرر
دفـاقُ العزالـي وجـم البعـاقِ[1] أغـاث بـه الله عليـا مـضر
فكـان كمـا قالـه عمـه أبـو طالـب ذو رواء غـرر
بـه يـسر الله صـوب الغمـام فهـذا العيـان وذاك الخبـر
فمـن يـشكر الله يلقـى المزيـد ومـن يكفـر الله يلقـى الغيـر

فمن قوله صلى الله عليه وآله: «لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عينه» تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله شديد الغرام بأبي طالب، كثير الذكر له، ولذا تراه لأوّل مناسبة يذكره وهو على المنبر في ذلك المجتمع بأحسن الذكر، ومن بقائه صلى الله عليه وآله على المنبر في حين أنه قد انتهى غرضه، ومن استشهاده شعره في ذلك الحال، يمكنك أن تستنتج استراحته صلى الله عليه وآله وارتياحه لذكره، ولا يخفى ما في ذلك مع دوام استغفاره له، في الوقت نفسه من إكبار أبي طالب وتكبيره في أعين المجتمعين، سيما إذا رأوا النبي صلى الله عليه وآله يتهلهل وجهه فرحاً وسروراً بسماع منظومه.

ونحن نستظهر دوام ذكره له في خلواته ومع أصحابه وفي كل موطن من سير أحوال الصحابة معه صلى الله عليه وآله في ترديد ذكر عمّه بأدنى مناسبة، فكان حبّه لذلك معلوم لديهم من حال النبي صلى الله عليه وآله، فهم يتقربون إليه بدوام إيناسه بذكره، ويرشدك إلى ذلك بيت الكناني المتقدم الذكر: (فكان كما قاله عمّه أبو طالب) أليت، وما يروى في الإصابة[2] مسنداً عن ابن عبّاس: أنه جاء أبو

(١) البعاق كغراب: شدة الصوت، ومن المطر الذي يفاجئ بوابل، والسيل الدفاع.
(٢) ج ٧: ١٩٩.

بكر إلى النبي ﷺ بأبي قحافة يقوده وهو شيخ كبير أعمى، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تركت الشيخ حتّى نأتيه؟» فقال: أردت يا رسول الله أن يؤجره الله تعالى، والذي بعثك بالحق لأنا كنت عليه أشد فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينك.

هذه حالة الصحابة معه ﷺ، كما ترى يذكرون عمّه لأوّل مناسبة.

نعم، ليس للنبي ﷺ مقام في مكّة بعد أبي طالب، أجل، بفضل حماية أبي طالب وحياطته تسنى للنبي ﷺ البقاء في مكّة بعد إظهار الدعوة، وما أن غاب عن النبي ﷺ وجه أبي طالب عليه السلام حتّى ظهرت في وجوه قريش صفحات الغدر، وعلتها سمات المكر، فقد خلا لهم الجو، وتفرق جيش محمّد ﷺ يوم ارتحل بيضة البلد، ولفت أعلامه يوم غيب في التراب العمد، وبذلك تهدم سوره المانع، وتكهم[1] سيفه القاطع، واستوحد أبو القاسم محمّد ﷺ، فلا مانع ولا دافع، ولذا عدوا عليه ﷺ يؤذونه بصنوف من الأذى، وقعدوا له كل مقعد، ووضعوا عليه العيون في كل مرصد، وأخذوا يرمونه بالدواهي من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، ومن فوق رأسه الشريف ومن تحت قدميه، وأقبلت الفواقر تترى كقطع الليل المظلم، تترامى عليه في المضائق والمنفرجات، وفي قمم الجبال الشاهقة، وفي أعلا الأكمات، وفي بطون الأودية، وفي السهل والحزن.

وقد أشار ﷺ إلى هذا ونحوه، حيث قال: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت».[2]

لم تكن قريش لتحكم ببعض هذا في حياة عمّه، بل ولا في العشر من المعشار، بل ولا في الواحد من ألف، ولذا كان ﷺ كثيراً ما يشكو بثه

---

(١) سيف كهام: الكليل الذي لا يمضي.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٤٢.

وحزنه _ وفيما أحسب _ أنه لبقايا أصحابه المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة إلى الحبشة أو غيرها.

روى الطبري في تاريخه[١] والحلبي في سيرته[٢] أنه صلى الله عليه وآله قال: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب».

وعند اشتداد الأزمة وتفاقم الخطب بتهجمهم عليه المرة تلو المرة، وإنزالهم به الضربة إثر الأخرى، كان يستصرخ روح عمّه الطاهرة ويستريح بالشكوى إليها، فيقول: «يا عم، ما أسرع ما وجدت فقدك».

[هجرة النبي صلى الله عليه وآله من مكّة]:

ويقول في السيرة الحلبية:[٣] وفي أثناء تلك الشدائد أمره الله تعالى بالخروج من مكّة:

يُروى في الكافي[٤] عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال جبرئيل: يا محمّد أخرج من مكّة، فليس لك فيها ناصر، وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله، فخرج هارباً حتّى جاء إلى جبل بمكّة يقال له الحجون فصار إليه».

ويقول ابن أبي الحديد في شرحه:[٥] جاء في الخبر أنه لما توفى أبو طالب أوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله أن أُخرج من مكّة، فقد مات ناصرك.

وخرج صلى الله عليه وآله إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به، فأبت نفوس الثقفيين الخبيثة إلاّ الطغيان، حيث

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٢٩.

(٢) ج ١: ٣٥٣.

(٣) السابق.

(٤) ج ١: ٤٤٩/ ح ٣١.

(٥) شرح نهج البلاغة ١: ٢٩؛ و٤: ١٢٨؛ و ١٤: ٧٠.

امتنعوا عن نصرته وعن الإصغاء لدعايته، وجبهوه بالرد بأقبح صورة، وناله منهم من الاحتقار ما الله به أعلم، ولما انقطع رجاؤه من ثقيف أراد ﷺ الانسحاب بانتظام، فأبوا عليه وأغروا به صبيانهم وعبيدهم وسفهائهم، فأخذوا يرمونه بالحجارة تارة ويقذعون في الشتم والسباب تارة أخرى، حتّى التجأ إلى بستان، فعمد إلى شجرة فاستظل فيها والدم يسيل من ساقيه وقدميه لشدة وقع ما أصابه من الحجارة، وهو يناجي ربه سبحانه وتعالى شاكياً، حيث يقول ـ كما في سيرة ابن هشام ـ:[1] «اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أُبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتّى ترضى، ولا حول ولا قوة إلاّ بك».

[مؤامرة قريش لقتل النبي ﷺ]:

ثمّ قدم مكّة وقومه على أشد ما كانوا عليه من خلافه، ولما عرض نفسه على القبائل في الموسم يدعوهم إلى الله تعالى أنشأوا ينظمون الحركات القوية ضد دعايته ﷺ، وحيث لم ينجحوا في تمام تدابيرهم، ووقفوا على شيء من بيعة الأنصار المدنيين في العقبة، ورأوا أن أمره لا يزداد إلاّ علواً، وشأنه إلاّ رفعة، ودينه إلاّ انتشاراً مهما لجوا في كفرهم، ومهما وضعوا على دعايته العيون والأرصاد، ومهما أوغلوا في تحقير أمره وتصغيره، طفقوا يرتأون الحيلة في قتله حذار تغلبه عليهم فيما إذا كثر أعوانه، وعقدوا لذلك اجتماعات خاصة، وكان الاجتماع الأخير في دار الندوة، فتبادلوا الآراء، ثمّ

---

(١) ج ١: ١٤٧/ ط: الأولى.

وبعد مخضها وقع الجميع على القرار النهائي في سفك دمه صلى الله عليه وآله، فانتدبوا لهذا الأمر جماعة من بطون قبائل شتى، ليضيع دمه باشتراك القبائل فيه، لكن خلص النبي صلى الله عليه وآله من كيدهم ومكرهم، فإن الله تعالى أنزل على رسوله في ذلك الحين قرآناً يتلى فيما دار بينهم من المكر، فقال تعالى:﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.[1]

ثمّ أطلعه سبحانه وتعالى على تفصيل ما أجمعوا عليه، وأذن له بالهجرة، فدعا النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وأطلعه على ما أجمعت عليه قريش، وعهد إليه بأمور، ثمّ أمره بالمبيت على فراشه ليلة موعد هجومهم عليه بأسيافهم لإنفاذ القرار، فأجابه عليّ عليه السلام ملبياً بصدر رحب ورباطة جأش، مفدياً النبي صلى الله عليه وآله بنفسه، باذلاً فيه مهجته، فبات على الفراش يصور في عيون المهاجمين أن النبي صلى الله عليه وآله باق لم يبارح مكانه، حيث التف ببرد النبي صلى الله عليه وآله الحضرمي الأخضر الذي كان يلتف به صلى الله عليه وآله عند المبيت، ثمّ خرج صلى الله عليه وآله مهاجراً، فأنزل الله تعالى في تلك الليلة في أمير المؤمنين عليه السلام _ كما ذكر ذلك الثعالبي[2] والرازي[3] في تفسيريهما عند الكلام على هذه الآية:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾[4] تقديراً لمبيت عليّ عليه السلام على الفراش، وإعظاما لشأنه.

ولبيان فضل أكرومة المبيت محل آخر.

نعم، كان النبي صلى الله عليه وآله في حياة أبي طالب في غنية عن هذه المشاق، ولما أودى كان ما سمعت مجمله، واضطر للجلاء عن بيت الله الحرام، ولم يبق له في مكّة مقام، وهي مسقط رأسه ومحل أُنسه وكرسي مجد آبائه صلى الله عليه وآله

---

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) عنه: ابن البطريق في خصائص الوحي: ١١٩؛ والبحراني في تفسير البرهان ١: ٢٠٦.

(٣) التفسير الكبير ٥: ٢٠٤.

(٤) البقرة : ٢٠٧.

وأجداده، فتأمل هداك الله بهذا ونحوه أيها المنصف، واشكر لأبي طالب جهوده، وقدر مواقفه ومقامه في الإسلام، ولا تكن من الجاحدين لكلمة خرجت من فم السياسة الأموية فتلقاها بعض بقاء سِرئي[1] الرهبة والرغبة ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾.[2]

وحقّاً أقول: ما غاية من يريد الحط من كرامة المدافع عن حوزة الإسلام والناصر لدين الله أبي طالب عليه السلام إلاّ النيل من عليّ عليه السلام؟ فإنهم لما لم يجدوا في عليّ مغمزاً أرادوا الطعن فيه من طريق أبيه، وليست هذه بأوّل حرب نصبوها لأبي الحسن، وما هي بأمض من يوم السقيفة أو يوم الشورى، وهل يا ترى أن جرأتهم عليه بالنيل من أبي طالب أقرح للجفون وأوجع للقلوب، أو بالهجوم عليه الدار وإخراجهم له ملبباً بحمائل سيفه، وكلّما مرّ بملأ من الناس صاحوا: جرّوه؟

* * *

(١) هكذا في المخطوطة.

(٢) الكهف: ٥.

[سرّ التشكيك في إسلام أبي طالب عليه السلام]

﴿ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾.[1]

نبحث الآن في مقامنا هذا عن سر التشكيك في إسلام أبي طالب عليه السلام، وتاريخ تولد النزاع فيه، فنقول:

كم من حقيقة ناصعة بيضاء ذهبت فريسة الأهواء، وكم من حقائق راهنة وضعت في باحة التشكيك، وربما مضى على أحدها أعوام عديدة وأيدي الخلائق جمعاء تشير إليها بالتسليم وتتصافق عليها بالسلام والدعم، ولم يخطر على قلب بشر أن يضعها في ميزان الشك أو على بساط البحث والنظر، غير أن أيدي القوى الزمنية القاهرة كثيراً ما حولت الضروري نظرياً، والحلال حراماً، والحرام حلالاً، والجمل ناقةً، ولذا نراها تقتل كلّ حقيقة مشروعة تعترض سيرها بكلّ نوع من المذمرات كيفما ساعدتها الظروف وعلى قدر الرهبة والرغبة، وتجد في التشكيك لذّةً حينما لا يمكنها القضاء على بعض الحقائق قضاءً نهائياً، ذلك عندما نراها تذيع الأنباء لا عن حقيقة، فتمثل روايات الافتراء على مسارح هذه الحياة حيثما شاءت وشاء لها التشكيك بحقيقةٍ راهنة يقرّها العقل والمنطق.

من هذه الحقائق التي كانت من الوضوح بمكان في الصدر الأوّل من الإسلام إيمان أبي طالب عليه السلام، أجل، لم يكن النزاع في هذه المسألة معروفاً

---

(١) الكهف: ٥.

قبل منازعة الإمام عليّ عليه السلام في أمر الخلافة حينما صارت إليه، والذي أعتقده ويعتقده كلّ من نظر في التاريخ والسير والأخبار وأمعن النظر بدقة.

أن نزاع المسلمين في الإثبات والنفي في المسألة إنما هو وليد قيام معاوية لعنه الله وزملائه ضد الخلافة العلوية، ووليد إسعارهم نيران الحرب والفتن عداوةً لصالح المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ووليد جهدهم في الليل والنهار لدحض كلّ فضيلة ومكرمة عنه، ولقد أبَتْ نفوسهم إلاّ التشكيك بعنوان مناقب والد الإمام عليه السلام وحبيب النبي الكريم صلى الله عليه وآله.

هنا يلزمنا أن نمر بك على طرف يسير من سيرة معاوية لعنه الله وأعماله التي ترتبط بالمقام، ليكون ذلك هو البرهان الجلي على صحة نظريتنا في استنتاج تاريخ تولد النزاع في المسألة.

[تاريخ تولّد النزاع]:

تربع معاوية لعنه الله على العرش بالرغم من كره الأمّة، واستوسقت له الأمور بعد مقتل عليّ عليه السلام وصلح الحسن عليه السلام على شروط اشترطها عليه لم يف له بها، فلم يكن في الدنيا بعد ذلك أثقل على معاوية لعنه الله من ذكر مناقب عليّ عليه السلام وأهل بيته، في حين أن من بقي من الصحابة ذوي السوابق في الإسلام يسبحون بمحمّد وعليّ عليه السلام ويقدسون آثاره، ويقدرون له جهوده، ويحدّثون بما جاء في القرآن والسنة في مناقبه، لأياديه البيضاء على الإسلام منذ قام بالدعوة أخوه الصادق الأمين إلى آخر آنٍ من حياته عليه السلام.

وبالطبع أن هذا من الصحابة أمر لا بدّ منه، فإن عليّاً عليه السلام هو بطل هذا الدين وساعِد مؤسسّهِ صلى الله عليه وآله الأسد، وخليق بكلّ صحابي أو تابعي أن يطريه ويطري أهل بيته، لما لهم من البروز والظهور في الإسلام، ومهما أجاد الصحابي في مدحهم عليهم السلام فإنه يعترف بالتقصير عندما يرتل سور حمدهم عليهم السلام في القرآن، ويتلو محمود مدحهم في

السنة، وهذه المدائح الباهرة التي كان يسمعها معاوية لعنه الله لم تكن لتثقل على سمعه فحسب، بل كانت تبعث إلى نفسه أسوأ الأوهام والظنون، وتجعله يترقب من ورائها الويل والثبور، على حين أنه لم يحطّم أساس كلّ مسنون في الإسلام إلاّ ليستولد من الخلافة ملكاً ضخماً يقرّه في عقبه، وما دام لأهل البيت عليهم السلام نور وظهور، وفيهم نظير سبطي الرسول صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليه السلام، فإنه لا يدوم لبني أبيه ملك ـ وإن دام ملكه في حياته ـ، والحق لا محالة بعد مهلكة يرجع إلى نصابه، لذلك كلّه أراد معاوية لعنه الله أن يبرم الأمر لبني أبيه، ويبني لهم سوراً حصيناً حول العرش، ومن البديهيات الأوّلية بنظر الداهية الأموي أنه لا يستقيم له ذلك إلاّ بنقض أساس سور أهل البيت عليهم السلام وإطفاء نورهم، وحمله على الناس على رقابهم، وفعله الشنيع في أصحابهم، وقد تُلقى هذه النظرية عند الأمويين كافة، ولذا قال مروان ابن الحكم لعنه الله ـ كما أخرجه الدارقطني ـ:[1] ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليّ عليه السلام، فقيل لمروان: ما لكم تسبونه على المنابر؟ فقال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك.

وقد طبّق منهاج نظريته هذه كما يحكيه لنا التاريخ، فتارةً يروي لنا بطش معاوية لعنه الله وتنكيله بشيعة عليّ عليه السلام، بل وبكلّ من ذكره وآله بخير، أو روى لهم عن صاحب السنة من فضيلة، وطوراً يحدث عن تفريقه بُدر الذهب الوهاج وإقطاع المقاطيع والضياع وبناء البنايات الفخمة وتجهيزها بالأثاث والرياش لمتنسكي السوء على أن يختلقوا الأحاديث المكذوبة بالغض من كرامة عليّ عليه السلام وأهليه والنيل منهم بأقبح صورة، ثمّ يذيعون روايتها في الأقطار، هكذا تستشهد جملة من الحقائق ويشكك في جملة أخرى، وكذا تكون بين فجوتي الترهيب والترغيب مجزرتها العظمى، وبذلك تسنّى لمعاوية لعنه الله أن يجعل من السنة شتم عليّ عليه السلام نحو ستين سنة.

---

(١) عنه: الصواعق المحرقة: ٣٣؛ والغدير ٨: ٢٦٤.

[معاوية يسنّ سب عليّ عليه السلام]:

يقول الحافظ السيوطي:

إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يُلعن عليها عليّ عليه السلام بما سنّه لهم معاوية لعنه الله من ذلك، وفي ذلك يقول العلامة أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي: إنه ... قد كان فيما جعلوه سُنّه

سبعون ألف منبر وعشرة ... من فوقهنّ يلعنون حيدره

وهذه في جنبها العظائم ... تصغر بل توجه اللوائم

فهل ترى مَن سنّها يعادي ... أم لا وهل يستر أم يهادي؟

أو عالم يقول عنه نسكت ... أجب فإني للجواب منصت

وليت شعري هل يقال اجتهدا؟ ... كقولهم في بغيه أم ألحدا

أليس ذا يؤذيه أم لا؟ فاسمعن ... إن الذي يؤذيه من ومن ومن

بل جاء في حديث أم سلمة ... هل فيكم الله يسب مه لمه؟

عاون أخا العرفان بالجواب ... وعادي من عادى أبا تراب[1]

وهاك جملاً تناسب المقام وتظهر لك نفسية معاوية لعنه الله الخبيثة، وتريك سوء عمله في اتخاذ كل تدبير لطمس منار أهل البيت عليهم السلام: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾.[2]

ففي شرح النهج[3] يقول ابن أبي الحديد: روى أبو الحسن عليّ بن

---

(١) أنظر: الغدير ٢: ١٠٢.

(٢) التوبة: ٣٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤.

محمّد بن أبى سيف المدني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية لعنه الله نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كور على كل منبر يلعنون عليّاً عليه السلام ويبرءون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة عليّ عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام عليّ عليه السلام ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخيل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية لعنه الله إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحدٍ من شيعة عليّ عليه السلام وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم: أن انظروا من قِبَلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية لعنه الله من الصِلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فلبثوا بذلك حيناً.

ثمّ كتب إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، فلا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب وشيعته إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحبُّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقُرئت كتبه على الناس، ورويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتّى أشادوا

بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتّى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتّى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا في ذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا إلى من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطائه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه في العراق ولاسيّما بالكوفة، حتّى إن الرجل من شيعة عليّ عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيُلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنَّ عليه، فظهر حديثٌ كثيرٌ موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس بلية في ذلك القرّاء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذي لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها.

ولم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن عليّ عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة، ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولي عبد الملك بن مروان فاشتدَّ على الشيعة، وولّيَ عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض عليّ عليه السلام وموالاة أعدائه، فأكثروا في الرواية في فضلهم ومناقبهم وأكثروا من الغض من عليّ عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له، حتّى أن إنساناً وقف للحجاج ـ يقال أنه جدّ الأصمعي عبد الملك بن قريب ـ فصاح به: أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني علياً، وإني فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توسلت به، قد وليتك موضع كذا.

وعن الكامل للمبرد:[١] استعمل معاوية لعنه الله المغيرة بن شعبة لعنه الله على الكوفة، ودعاه فقال له: أما بعد، فإن:

لذي الحلم قبلَ اليوم ما تَقرَعُ العصا وما عُلّمَ الإنسان إلاّ ليعلما[٢]

ولا يجزي عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلةٍ واحدة؛ لا تترك شتم علي وذمّه والعيب لأصحابه والإقصاء لهم، فقال له المغيرة: قد جرّبت وجُرّبت، وعملت قبلك لغيرك فلم يذمني، وستبلوني فستُحمد أو تذم، قال: بل تُحمد إن شاء الله، فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة وهو أحسن شيء سيرة، غير أنه لا يدع شتم عليّ عليه السلام والوقوع فيه.

[وضع الحديث تقرباً لمعاوية]:

وفي شرح النهج[٣] يقول ابن أبي الحديد: إن معاوية لعنه الله بذل لسمرة بن جندب لعنه الله مائة ألف درهم حتّى يروي أن هذه الآية أُنزلت في عليّ عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾،[٤] وأن الآية الثانية أُنزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾،[٥] فلم يقبل سمرة بذلك، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، وروى ذلك.

---

(١) ج ٣: ٤٧٢.

(٢) في المخطوط: ولا يجزي الحليم بغير التعلم، والصحيح ما أثبتناه من المصادر.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤: ٧٣.

(٤) البقرة: ٢٠٤ و٢٠٥.

(٥) البقرة: ٢٠٧.

وإن مكذوب الحديث أروجَ سلعةٍ بيعت في أسواق الأموية، وهذا من مهمات جناياتهم على الدين الإسلامي.

يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج:[١] قال ابن عرفة المعروف بـ (نفطويه) ـ وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم ـ: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية، تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم.

ويقول أحمد أمين في (فجر الإسلام):[٢] وتلمح أحاديثُ كثيرةٍ لا تشكّ وأنت تقرؤها أنها وُضعت لتأييد الأمويين، كالخبر الذي رويَ أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في معاوية لعنه الله: اللهم قه العذاب والحساب وعلّمه الكتاب. وكالذي روي أن عمرو بن العاص لعنه الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء.

ومن الضروري الذي لا يخالجه ريب أن من لا يتحرز عن مثل هذه المناكير فهو خليقٌ بأن لا يتحرّز عن وضع الأخبار الكثيرة في تكفير أبي طالب عليه السلام إيذاءاً لعليّ عليه السلام وآل أبي طالب عليه السلام وشيعتهم، ليكون للمتغلب الأموي بذلك قرة عين، ومن هان عليه بذل أربعمائة ألف درهم لسمرة ليروي للناس أن الآية الأولى المتقدمة الذكر نزلت في عليّ عليه السلام يهون عليه البذل في سبيل تكفير والده عليه السلام، على أن الأغراض السياسية التي قادتهم إلى الطعن في آل أبي طالب هي نفسها التي حدتهم على الطعن في أبي طالب، وبالطبع أن مثل هذه التدابير تنطلي على كثير من البسطاء في ذلك العصر فيرونها حقّاً، وبذلك ترجح كفة ابن أبي سفيان ـ بنظرهم ـ، وتخفّ كفة عليّ عليه السلام حينما يرون الطعن فيه وفي أبيه وفي شيعته وذويه.

---

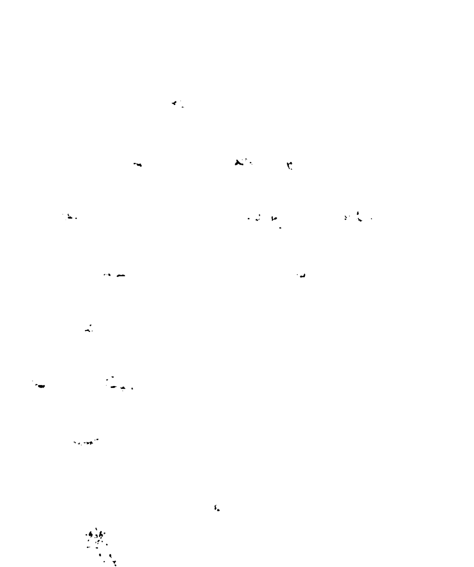
(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٦.

(٢) ج ١: ٢٥٥/ ط: الأولى.

نعم، ويؤدي ذلك في العصور المتأخرة إلى الاعتقاد بصحتها من بعض الناس، وبالأخص عندما يجدونها كروايات مسندة إلى من يَمُتُّ بأبي طالب عليه السلام بنسب، أو تجمعه وإياه آصرةُ رَحِم، وما هي في الحقيقة إلاّ افتراءات مفتعلة من رجال السوء، وبمثل هذا اغترَّ كثير من الناس.

فبمجموع ما قدمناه يمكنك أن تكتنه السّر في الاختلاف في المسألة، وتستطيع أن تستنتج تاريخ تولد النزاع، وأن العداء لعليّ عليه السلام وآله الأطهار يفعل أكثر من افتعال الروايات وخلق الأكاذيب، وهل يا ترى أن الافتراء في الرواية أكبر جرماً أو ضربهم لأمير المؤمنين بالسيف على رأسه وهو في محرابه مقبلٌ على ربّه بصلاته؟ وهل جَعْلُ الأخبار أعظم خطيئة أم سقيهم للحسن عليه السلام السم النقيع حتّى تقيء كبده قطعة قطعة؟ وهل خَلْقُهم أحاديث كاذبةٍ أشد جرأة أم قتلهم للحسين عليه السلام ظلماً وعدواناً، وطحنهم لضلوعه بسنابك الخيل، وهجومهم على حرمه وهي حرم الرسول صلى الله عليه وآله؟

* * *



[الدليل على إيمان أبي طالب من كتب العامة]

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.[1]

كم نحوم حول الحمى نحن أتباع الحق ونُصراء الحقيقة بين الحيرة والدهشة والتعجب والاستغراب، قد أطلنا التجوال في أقطار كتب التاريخ المألوفة، وأبعدنا في السياحة في قواصي الآثار ودووانينها، فشاهدنا بالعيان مكتشفات الحقائق، ولا غَرو فقد أسفرت محجبات الدلائل، والحق يعرفه ذوو الألباب.

نحن الشيعة درسنا شطراً مهماً وقضينا دوراً كاملاً في مطالعة كتب علماء أهل السنة والجماعة، وتصفحنا الآثار المنقولة عن أئمّة محدّثيهم الصادعة بفضائل أهل بيت الرحمة وسلالة المصطفى وعترة الرسول ﷺ، ومع ذلك كله فقد [ترك القوم][2] تلك الصحاح، ومالوا إلى شذاذٍ من الأقاويل، وقابلوا تلك البراهين الساطعة والدلائل اللامعة بتمحلاتٍ مستبشعة وتأولات يمجّها السمع ويعافها الطبع السليم، وإن نطق شيعي برواية أثر أو تسجيل قصة معتبرة قالوا: رافضي وضاع يشتم السلف ويسب الصحابة، وقد علموا علماً قطعياً أن الشيعي الفاحص المتقن والإمامي الباحث المتبحر لأكبر موقّر ومبجل لذوي الميزة من كبراء الصحابة، ولم أخل أن أحداً لا يدري ما تَسِمُ به الشيعة أماثل الصحابة من عظماء المهاجرين والأنصار، ولكن ويا للأسف

(١) يونس: ٣٥.

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في المخطوط، وأثبتناه لاقتضاء السياق.

لباغي الحقيقة حيث لم ينظر في الآثار الساطعة والبراهين اللامعة ويتلو شطراً من صحاحها بإتقان وإمعان نظر ويعزل عنه الشذاذ ويطرح المناكير.

أنظر مستقيم الفكرة متنور العقل هل تجد أن الصحبة خاصة لفرد أم شاملة لكل من صدّق دعوة الرسول الصادق صلى الله عليه وآله وأجاب نداء الوحي الناطق؟ لا أخالك ترضى بالاقتصار على بعض الأفراد المستجيبين للرسول الملبين لدعوة الداعي دون بعض، فإن ذلك ظلم وحيف يأباهما الحُرّ الكريم، فإذا كانت الصحبة عامة لأفراد أهل الاستجابة فما بالك أخرجت منها عم الرسول وكافله وكالئه[1] وذو الشفقة عليه والحدب والحنو والرأفة والرحمة؟ الذي عادى العرب عامة وقريشاً خاصة لأجل إعلاء كلمته وتشييد دينه وتأكيد شرعه، يصدع مرةً بعد أخرى، ويقوم مقاماً تلو مقام، خاطباً تارة وناظماً أخرى، مصرحاً وملوحاً ومبهماً ومبيناً بأنه النبي، وأنه نظير موسى، وأن دينه من خير الأديان، إلى ما سيمر عليك تفصيلاً.

[صحيح البخاري في الميزان]:

إن قلت: من ذا المشار إليه في ذا الإيعاز؟ قلت: ذاك شيخ البطحاء وزعيم قريش المطلق، هو أبو طالب عليه السلام، الثابت إسلامه، المتأكد إيمانه بما تضمنته كتب الفريقين، أما عندنا من غير استثناء فإننا مجمعون على إسلامه، وأما عند الخصم فإنا نحتج عليه من كتب علمائه المعتبرة، لجلالة مصنفيها ووثاقتهم، وهو الحجة الدامغة، ودع عنك خلو البخاري عن الآثار في إسلامه وإيراده الضد المنافي، لا نريد الطعن على البخاري، بل همّنا كشف الحقيقة ورفع النقاب عن وجنة الحق.

إن جامع البخاري الموسوم بالصحيح لا يصح كله، وكيف لك بصحة ما فيه وقد خرج فيه عن عمران بن حطّان الخارجي الفاسق بإجماع الأمّة، أما

---

(١) أي: حافظه وحارسه (الصحاح/ مادة: كلأ).

عندنا فلبغضه عليّاً عليه السلام، وأما عندهم فلبغضه عثمان، والخوارج كما تعلمهم «هم كلاب النار»[١] على ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله. وقد خرج فيه عن الحجاج أمير العراقين الفاسق الكافر، وهو القائل وقد رأى الناس يطوفون بقبر الرسول: تباً لهم! إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله!؟[٢]

أترى هذه عقيدة مسلم حتّى يكون الحديث عنه صحيحاً؟!

وخرّج أيضاً عن يزيد بن معاوية، وفسقه أشهر من أن يذكر، قتل الحسين عليه السلام سبط الرسول وريحانة محمّد صلى الله عليه وآله، أباح المدينة، أحرق الكعبة، مضافاً إلى شربه الخمور ولعبه بالعود وضربه بالطنبور، هذا حاله، فكيف يصح؟ ذكر ذلك بن حجر (تعجيل المنفعة).[٣]

ولا خفاء أن البخاري كان منحرفاً عن آل أبي طالب، ورواياته عن المنحرفين عنهم كابن العاص وابن شعبة وغيرهما، وقد أوصى الإمام الشافعي بأن لا تقبل شهادة أربعة من الصحابة؛ معاوية، وابن العاص، والمغيرة، وزياد، على ما ذكره أبو الفداء في تاريخه.[٤]

وكيفما قلت سنتلو عليك الدليل المفصل في إسلام أبي طالب عليه السلام، ولا نخرج بما سنسجله عن المروي في كتب أهل السنة، ولا ننقل إلاّ مقال علمائهم الأعيان وفقهائهم المتبحرين، فقد عدوّه من أكابر الصحابة وفضلائهم، وخذ ما أورده علماء المتتابعين على تكفيره إصراراً وعناداً وستراً لوجه الحقيقة.

---

(١) أنظر: مستدرك الحاكم ٣: ٥٧١؛ مسند أحمد ٤: ٣٥٥؛...

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٤٢.

(٣) أنظر: ٤٥٣.

(٤) ج ١: ١٨٦.

[نماذج من شعره تدل على إسلامه]:

فمن تلك المصرحات بخلوص إيمانه أشعاره الرائفة وخطبه الفائقة التي في جميعها يقول: أنا مسلم ومؤمن بنبوة ابن أخي محمّد ومصدق بدعواه، واثق أن ما جاء به هو حق وأنه من عند الله، وأن الله ابتعثه، وأن دينه من خير الأديان، نقل ابن أبي الحديد في شرحه[١] قوله:

يا شاهد الله علّي فاشهد   إني على دين النبي أحمد

من ضل في الدين فإني مهتد

وقوله ينعى على قريش القطيعة ويحذرهم الحرب:

تطاول ليلي لأمر[٢] نصب   ودمع كسح السقاء السَرِب

للَعبِ قصي بأحلامها   وهل يرجع الحلم بعد اللعب

وقالوا لأحمد أنت امرؤٌ   خلوف الحديث ضعيف السبب

وإن كان[٣] أحمد قد جاءهم   بصدق ولم يأتهم بالكذب

إلخ.[٤]

فكيف يكون الإسلام؟ وبماذا يعرف الإيمان؟ وهل بين قوله هذا:

وإن كان أحمد قد جاءهم   بصدقٍ ولم يأتهم بالكذب

وبين قول المسلم: (أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله) فرق عند ذي اللب والمعرفة الذي ينهى النفس عن الهوى ويتنكب سبل الردى.

---

(١) شرح نهج البلاغة مج ٣: ٣١٥/ ط ل.

(٢) في المصادر: بهم.

(٣) في المصادر: ألا إن.

(٤) أنظر: إيمان أبي طالب للمفيد: ٣١؛ ومناقب آل أبي طالب ١: ٦٠.

وقوله يخاطب قريشاً في القطيعة:

وبلغ على الشحناء أفناء غالب ... لؤياً وتيماً عند نصر العزائم[1]

ألم تعلموا أن القطيعة مأثم ... وأمر بلاء قاتم[2] غير حازم

وأن سبيل الرشد يعرف في غد ... وأن نعيم اليوم[3] ليس بدائم[4]

فقوله: (وإن سبيل الرشد يعرف في غدٍ) يريد يوم القيامة، وقوله: (وأن نعيم اليوم ليس بدائم) يريد نعيم الدنيا ليس بدائم ونعيم الآخرة دائم، وهذا إذا تأمله منصف رآه إقراراً صريحاً من أبي طالب عليه السلام بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من القيامة والبعث والنشور والثواب والعقاب وغير ذلك من أمور الآخرة، ألا ترى إلى قوله: (إن القطيعة مأثم) والإثم هو ما يجازي عليه في الآخرة.

وإن أمية بن خلف الجمحي[5] جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله بعظم نَخِر، فسحقه في وجهه وقال: أنت تزعم يا محمّد أن هذا العظم يعود حياً؟ _ تكذيباً لما جاء به الرسول _ فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[6].[7] وأبو طالب صرح في هذه الأبيات وغيرها بالإقرار بالبعث بخلاف ما عند القوم.

---

(١) في بعض المصادر: الكرائم.

(٢) أي: شديد السواد.

(٣) في المصادر: الدهر.

(٤) أنظر: الغدير ٧: ٣٣١.

(٥) وقيل: أبي بن خلف.

(٦) يس: ٧٨ و٧٩.

(٧) أنظر: التبيان ٨: ٤٧٨؛ تفسير مجمع البيان ٨: ٢٩١؛ أسباب النزول: ٢٤٦.

ومنها قوله:

فلا تسفهوا أحلامكم في محمّد ... ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم

يمنوكم[1] أن تقتلوه وإنما ... أمانيكم تلكم[2] كأحلام نائم

فإنكم والله لا تقتلونه ... ولما تروا قطف اللحى والجماجم[3]

ولم تصر الأموات منكم ملاحماً ... تحوم عليها الطير بعد ملاحم

وتدعوا بأرحام أواصر بيننا ... وقد قطع الأرحام وقع الصوارم

ونسموا بخيل نحو خيل تحثها ... إلى الروع أولاد الكماة القماقم[4]

أخلتم بأنا مسلمون محمّداً ... ولما نقاذف دونه ونزاحم

من القوم مفضال أبي على العدا ... تمكن في الفرعين من آل هاشم

أمين محب[5] في العباد مُسَومٌ ... بخاتم رب قاهر للخواتم

يرى الناس برهاناً عليه وهيبة ... وما جاهل في فعله[6] مثل عالم

نبي أتاه الوحي من عند ربه ... فمن قال: لا، يقرع بها سن نادم[7]

أفلا ينظر العاقل ذو الحلم الرصين إلى هذا الإقرار بالنبوة وتوحيد الرب جلت عظمته في قوله عليه السلام: (أتاه الوحي من عند ربه) ومن أين يعرف الكفار الوحي؟ ثمّ يقول في هذه الأبيات: (فمن قال: لا، يقرع بها سن نادم)

---

(١) في بعض المصادر: تمنيتم.

(٢) في بعض المصادر: هذي.

(٣) في الديوان: الغلاصم.

(٤) القمقام: السيد الكثير العطاء.

(٥) في بعض المصادر: حبيب.

(٦) في بعض المصادر: قومه .

(٧) شرح نهج البلاغة ١٤: ٧٣؛ الغدير ٧: ٣٣٢.

يريد أن من لا يقر بنبوة محمّد ﷺ يندم إذا شاهد عذاب الله، وقوله: (محب في العباد مسوم) يريد أنه ﷺ موسوم بخاتم النبوة الذي كان بين كتفيه، وقلما ذكره ﷺ أحد من شعراء المسلمين في شعر إلاّ وذكر قريشاً ودعاهم إلى الإسلام وذكر النبي ﷺ بذلك، فمن ذلك قول الشاعر:

وآمنوا بنبي لا أباً لكم ذي خاتم صاغه الرحمن مختوم[١]

وقول ابن الزبعرى للنبي ﷺ حين أسلم بعد العداوة والمضاغنة والمباينة والمكاشفة:

وعليكَ من نور الإلهِ دلالة[٢] وجهٌ[٣] أغرّ وخاتم مختوم[٤]

فهل فوق هذا الإقرار إقرار، وبعد هذا الإيمان إيمان؟ وهل يسع مسلم يسمع هذا الإقرار بنبوة محمّد من أحد الكفار ولا يجري عليه أحكام المسلمين ويخرجه من جملة الكافرين ـ وإن لم يكن في الإسلام ذا بلاءٍ عظيم وعناء جسيم؟

وقوله عليه السلام يذكر أمر الصحيفة الذي ذكرناه:

ألا من لهم آخر الليل منصب وشعب العصا من قومك المتشعب

إلى قوله:

فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً على سخطٍ من قومنا غير معتب[٥]

وهل يكون إقرارٌ بالرسالة أو إيمانٌ بالنبوة أبلغ من هذا؟ ولكن العناد يمنع من اتباع الحق ويصد عن قول الصدق، ومن يكون بمنزلة أبي طالب عليه السلام من البصيرة في

---

(١) البيت منسوب لحمزة بن عبد المطلب، أنظر مناقب آل أبي طالب ١: ٥٢.

(٢) في المصادر: وعليك من علم المليك علامة.

(٣) في المصادر: نور.

(٤) أنظر: شرح نهج البلاغة ١٨: ١٧.

(٥) إيمان أبي طالب للمفيد: ٣٤.

الأمور والعقل الغزير ويعلم أن محمّداً صلى الله عليه وآله نبي مقرب ويقر له بذلك في شعره كيف يتقدر منه أن يكفر به؟ وهذا هو العناد العادل عن سبيل الرشاد.

وقوله لما غضب لعثمان بن مظعون عندما عذبته قريش:

ألا يرون أقلّ الله خيرهم[1] إنّا غضبنا لعثمان بن مظعون

ونمنع الضيم من يرجو مضيمتنا بكل مطّرد في الكف مسنون

ومرهفات كأنّ الملح خالطها نشفى بها الدّاء من هام المجانين

حتّى تقرّ رجال لا حلوم لهم بعد الصعوبة بالأسماح واللين[2]

فعجباً للبصير كيف يتعامى عندما يقرأ هذه الأبيات ويرى إقرار أبي طالب بالكتاب وأنه منزل عجب؟[3] كما قال تعالى حاكياً عن مؤمني الجن حين سمعوا القرآن: ﴿إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾.[4]

وإلى قوله عليه السلام: (على نبي كموسى أو كذي النون)، فسبحان الله من أين يعرف الجاهلي موسى ويونس؟ ومن أين يعرف الكتاب المنزل؟ وهل يؤمن بأنبياء الله تعالى ورسله وكتبه من يشرك به؟ إن هذا إلاّ هوىً قاهر وعناد ظاهر.

ثمّ ما كفى أبا طالب صريح الإقرار ومحض الإيمان حتّى حث المشركين على اتباعه والإيمان به، وأمر ولده أن يؤمنوا به ويصدقوه ويصلوا خلفه، ولا يؤمن هو به وهو ذو الحلم الرصين والعقل المتين، وهذا هو المحال الذي لا يخفى على أرباب الحجال.

---

(١) في بعض المصادر: أذل الله جمعهم.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة ١٤: ٧٣، بحار الأنوار ٢٢: ٢٦٨.

(٣) إشارة إلى قوله: أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب...

(٤) الجن: ١ و٢.

[أمرُ أبي طالب أولاده باتباع الرسول ﷺ]:

قال أبو ضوء بن صلصال: كنت أنصر النبي ﷺ مع أبي طالب عليه السلام قبل إسلامي، فإني يوماً لجالس بالقرب من منزل أبي طالب عليه السلام في شدّة القيظ إذ خرج أبو طالب إلي شبيهاً بالملهوف، فقال لي: يا أبا الغضنفر، هل رأيت هذين الغلامين ـ يعني النبي ﷺ وعليّاً عليه السلام ـ؟ فقلت: ما رأيتهما مذ جلست، فقال: قم بنا في الطلب، فلست آمن قريشاً أن تكون اغتالتهما، قال: فمضينا حتّى خرجنا من أبيات مكّة، ثمّ صرنا إلى جَبل من جبالها فاسترقيناه إلى قلّته، فإذا النبي ﷺ وعليّ عن يمينه وهما قائمانِ بإزاء عين الشمس يركعان ويسجدان، فقال أبو طالب عليه السلام لجعفر ابنه ـ وكان معنا: صِلْ جناح ابن عمّك، فقام إلى جنب عليّ، فأحسّ بهما النبي ﷺ فتقدمهما، وأقبلوا على أمرهم حتّى فرغوا مما كانوا فيه، ثمّ أقبلوا نحونا، فرأيت السرور يتردد في وجه أبي طالب عليه السلام، ثمّ انبعث يقول كما نقل ابن أبي الحديد في شرحه:[1]

إن علياً وجعفراً ثقتي ... عند ملم الزمان والنوب

لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما ... أخي لأمّي من بينهم وأبي

والله لا أخذل النبي ولا ... يخذله من بنيّ ذو حسب[2]

قال القاضي دحلان في أسنى المطالب:[3] فلولا أنه مصدق بدينه لما رضي لبنيه أن يكونا معه وأن يصليا معه، بل ولا كان يأمرهما بالصلاة، فإن عداوة الدين أشد العداوات كما قيل:

كل العداوة قد ترجى إماتتها ... إلاّ عداوة من عاداك في الدين

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٦٩.

(٢) أنظر نص رواية ضوء بن صلصال في: بحار الأنوار ٣٥: ١٢١؛ والغدير ٧: ٣٩٧.

(٣) ص ١٠.

ثمّ قال: [قال البرزنجي]:[١] فهذه الأخبار كلها صريحة في إن قلبه طافح وممتلئ بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله.

وللسائل أن يسأل: كيف أمر أبو طالب عليه السلام ابنه جعفراً عليه السلام بالصلاة مع النبي صلى الله عليه وآله ولم يصلّ هو إذا قلتم أنه كان بالله مؤمناً وبرسوله موقناً؟

(قلنا): إنما منعه من ذلك مراقبته لصاحبه الذي جاء معه ونصره وآزره لئلا يحرفه عنه استيفاءً لنصرته وحفظاً لمساعدته ليقوي أمر النبي صلى الله عليه وآله وتنتشر دعوته وتشيع كلمته، ألا ترى أن صاحبه الذي جاء معه ينصره كيف روى في حديثه أنه كان ينصر النبي صلى الله عليه وآله مع أبي طالب عليه السلام وهو بعد لم يسلم؟ فلم يأمن أبو طالب إذا صلى ظاهراً أن يفشي صاحبه أمره في جميع أنصاره وأعوانه ـ وعامّتهم مقيم على الشرك متظاهر بالكفر ـ فيصيرون يداً عليه ويوجهون عداوتهم إليه، ويفسد عليه أموره ويبطل تدبيره، لأنه عليه السلام كان يخادع القوم لتقوى شوكة رسول الله صلى الله عليه وآله ويظهر دين الله.

أمره عليه السلام حمزة بالدفاع عن بيضة الإسلام:

وقال يأمر أخاه حمزة بن عبد المطلب بالإسلام ويحضه على نصر نبي الهدى:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد ... وكن مظهراً للدين وفّقت صابرا

وحط[٢] من أتى بالدين من عند ربه ... بصدق وحقّ لا تكن حمز كافرا

فقد سرني إذ قلت أنك مؤمن ... وكن لرسول الله في الله ناصرا

وناد قريشاً بالذي قد أتى به ... جهاراً وقل: ما كان أحمد ساحرا[٣]

---

(١) ما بين المعقوفتين أثبتناه من المصادر.

(٢) ي بعض المصادر: (نبيٌّ أتى) وهو الأوفق.

(٣) أنظر: مناقب آل أبي طالب ١: ٥٦.

لم يكفه عليه السلام أمره لأخيه بالصبر على عداوة قريش والنصر للنبي صلى الله عليه وآله حتّى أمره بإظهار الدين والاجتهاد في حياطته والدفاع عن بيضته، ثمّ شهد لأخيه حمزة أن محمّداً صلى الله عليه وآله أتى بالدين من عند ربه بصدق وحق، ثمّ يحذره الكفر في قوله: (لا تكن حمز كافرا) ثمّ يقول له: (قد سرني إذ قلت أنك مؤمن)، فتراه يستر لأخيه بالإيمان ويختار لنفسه الكفر الموجب لغضب الجبار والخلود في النار؟ وهل يتصور مثل هذا من ذي عقل؟ وهل يعلم الإسلام بشيء أبين من هذا؟ ولكن العناد يصد عن سلوك نهج الرشاد.

[أبو طالب عليه السلام يمدح النجاشي]:

وقوله عليه السلام يمدح النجاشي، وذلك لما حل جعفر ومن معه من المسلمين بساحته واستقوا من راويته، لأن النبي صلى الله عليه وآله لما كثر أصحابه وظهر أمره اشتدّ على قريش ذلك وأنكر بعضهم على بعض وقالوا: قد أفسد محمّد بسحره سفلتنا وأخرجهم عن ديننا، فلتأخذ كل قبيلة من فيها من الصباة ولتعذبه حتّى يعود عما علق به من دين محمّد صلى الله عليه وآله، وكانت كل قبيلة تعذب من فيها من المسلمين، فيأخذ الأخ أخاه وابن العم ابن عمّه فيشده ويوثقه كتافاً ويضربه ويخوفه وهم لا يرجعون، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّه واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها﴾،[1] فخرج جماعة من المسلمين إلى الحبشة يقدمهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فنزلوا على النجاشي ملك الحبشة، فأقاموا عنده في كرامة ورفيع منزلة وحسن جوار، وعرفت قريش ذلك فأرسلوا إلى النجاشي عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فلما قدما على النجاشي في رهط من أصحابهما تقدم عمرو فقال: أيها الملك، إن هؤلاء قوم من سفهائنا صباة قد سحرهم محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، فادفعهم عنك، فإن صاحبهم يزعم أنه نبي قد جاء

---

(١) النساء: ٩٧.

بنسخ دينك ومحو ما أنت عليه، فلم يلتفت النجاشي إلى قوله، ولم يحفل بما أرسلت به إليه قريش، وجرى على إكرام جعفر عليه السلام وأصحابه وزاد في الإحسان، فبلغ ذلك أبا طالب فقال يمدحه:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفرٌ ... وعمـــرو وأعـــداء النبـــي الأقـــارب

وهـل نـال إحـسان النجاشـي جعفـرا ... وأصـــحابه أم عـــاق ذلـــك شـــاغب

تعلــم خيـــار النـــاس أنـــك ماجـــد ... كـــريم فـــلا يـــشقى لـــديك المجانـــب

ونعلـــم بـــأن الله زادك بـــسطة ... وأســـباب خيـــر كلهـــا لـــك لازب

فلما بلغت الأبيات النجاشي سر بها سروراً عظيماً، ولم يكن يطمع أن يمدحه أبو طالب بشعر، فزاد من إكرامهم وأكثر من إعظامهم، فلما علم أبو طالب عليه السلام بسرور النجاشي قال يدعوه إلى الإسلام ويحثه على اتباع النبي صلى الله عليه وآله:

لـــيعلم خيـــار النـــاس أن محمّـــداً ... وزيـــر لموســـى والمـــسيح بـــن مـــريم[1]

أتـــى بالهـــدى مثـــل الـــذي أتيـــا بـــه ... فكـــل بـــأمر الله يهـــدى ويعـــصم

وإنكـــم تتلونـــه فـــي كتـــابكم ... بـــصدق حـــديث لا حـــديث المترجم[2]

فـــلا تجعلـــوا لله نـــدا وأســـلموا ... فـــإن طريـــق الحـــق لـــيس بمظلـــم[3]

أورد هذه الأبيات (أيضاً) الحاكم النيسابوري في المستدرك.[4]

فمن أنصف الحق وترك العناد ونظر إلى هذه الشهادة لمحمّد صلى الله عليه وآله من عمّه وكافله أنه وزير لموسى والمسيح، وأنه أتى بالهدى مثل الذي أتيا به

(١) في بعض المصادر: رسول كموسى والمسيح بن مريم.

(٢) في بعض المصادر: المبرجم، من البرجمة، وهي: غلظ الكلام/ النهاية ١: ١١٣.

(٣) أنظر: بحار الأنوار ٣٥: ١٢٢؛ وكذلك شرح نهج البلاغة ١٤: ٧٥.

(٤) مج ٢: ٦٢٣/ ط: حيدر آباد سنة ١٣٣٨.

أيقن يقيناً لا شك فيه أنه إيمان محض بالنبيين، واعتراف بما جاءوا به من الهدى، فهل فوق هذا تصديق وأعظم منه تحقيق؟

ثمّ يقول للنجاشي: (فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا)، أليس هذا أمراً صريحاً منه بالتوحيد لله تعالى والإسلام الذي جاء به ابن أخيه؟

ثمّ يقول: (فإن طريق الحق ليس بمظلم)، فيا ليت شعري من يرى طريق الحق ليس بمظلم وأنه واضح وهو سديد عاقل كيف يختار الضلال والشرك؟

نعوذ بك اللهم من اتباع الهوى المورد لظى النار والموجب لغضبك، اللهم انتقم ممن ظلم عمّ رسولك وافترى عليه ونسب إليه ما هو بريء منه.

[إقرار أبي طالب بالتوحيد لله]:

وأمّا أشعاره المتضمنة إقراره بالتوحيد لله تقدست أسماؤه فهي مسطورة في كتب العلماء وتعاليق الأدباء، كثيرة لا يبلغ مداها ولا يحصر منتهاها، ونحن نذكر منها نبذة وجيزة وأبياتاً قليلة كراهية الإطناب، فمنها قوله عليه السلام:

مليك الناس ليس له شريك ... هو الجبار والمبدي المعيد

ومن فوق السماء له بحق ... ومن تحت السماء له عبيد[1]

وقوله:

لا تيأسنَّ إذا ما ضقت[2] من فرج ... يأتي به الله في الروحات والدَلَج

فما تجرع كأس الصبر معتصمٌ ... بالله إلاّ سقاه[3] الله بالفرج[4]

(١) أنظر: إيمان أبي طالب للمفيد: ٤٠؛ وروضة الواعظين: ١٤١.

(٢) في بعض المصادر: لا تيأسن لروح الله...

(٣) في المصادر: أتاه.

(٤) أنظر: الصراط المستقيم ١: ٣٤٠.

روي عن الحسن بن جمهور القمي البصري يرفعه قال: أنشد عمر بن الخطاب قول زهير بن أبي سلمى:

فلا تكتمنّ الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

فقال عمر: ما رأيت جاهلياً أعلم بالحكم من زهير، ولو قلت أن شعره شعر مؤمن يدخل الجنّة لإقراره بالبعث والنشور لقلت حقاً.(1)

فبالله وللمسلم ألا يرى اللبيب أن من أعجب العجيب أن عمر بن الخطاب يسمع بيتي شعر لزهير في أحدهما ذكر الحساب فيقطع له بالجنّة ولا يرتاب مع شهادته عليه أنه جاهلي لم يدرك الإسلام ولم يعرف الإيمان، وهذا أبو طالب عليه السلام بن عبد المطلب له ديوان شعر يضاهي شعر زهير جميعه في الكثرة أو يزيد عليه يتضمن جميعه الإقرار بالرسول صلى الله عليه وآله والتصديق له والحث على اتباعه والتوحيد لله وذكر الميعاد والحساب.

قال ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه (متشابهات القرآن)(2) في ضمن تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾(3) من سورة الحج ما هذا لفظه: إن أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من يكاشف النبي صلى الله عليه وآله ويصحح نبوته، ثمّ أورد جملة وافية منها.

وأهل العصبية الباطلة والحمية الفاسدة يجعلونه من الكفار الخالدين في النار ولا يتدبرون ما يؤثرون من أخباره الشاهدة بإيمانه، ولا يتفكرون فيما يروونه من أشعاره الناطقة بإسلامه، وشتان بين جعله من الكفار الخالدين في النار وبين إفتاء جماعة من أعلامهم بكفر من أبغضه ومن ذكره بمكروه لأن ذلك أذية للنبي صلى الله عليه وآله.

---

(1) الحجة على الذاهب في تكفير أبي طالب: ٣٢٩.

(2) ج ٢: ٦٥، عنه الغدير ٧: ٣٤١.

(3) الحج: ٤٠.

قال مفتي الشافعية العلامة الدحلاني في أسنى المطالب[1] ما هذا لفظه: ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شرحه على الكتاب المسمى (شهاب الأخبار) للعلامة ابن سلامة القضاعي: إن بغض أبي طالب كفر.

ونصّ على ذلك أيضاً من أئمّة المالكية العلامة علي الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في حاشيته على الشفا، فقال عند ذكر أبي طالب: لا ينبغي أن يذكر إلاّ بحماية النبي ﷺ لأنه حماه ونصره بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذية للنبي ﷺ ومؤذي النبي ﷺ كافر والكافر يقتل.

وقال أبو طاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر.

والحاصل: إن إيذاء النبي ﷺ كفر يقتل فاعله إن لم يتب، وعند المالكية يقتل وإن تاب.

إلى إن قال: وكثيراً من الأولياء العارفين من أرباب الكشف قالوا بنجاة أبي طالب، منهم: القرطبي والسبكي والشعراني وخلائق كثيرون، وقالوا: هذا الذي نعتقده وندين الله به.

ثمّ قال: فقول هؤلاء الأئمّة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالى (انتهى).

وهؤلاء إنما حكموا بنجاته من حيث أنه مات مسلماً، فكيف يتقدر للإنسان بعد هذا أن يعرف الحق ويعدل عنه معانداً، ويلقى الله بعد معرفته جاحداً؟

وإذا رجع الخصم إلى شعر أبي طالب عليه السلام محللاً من نفسيته ومستكشفاً منه ميله وهواه لوجده أصدق شاهد على إسلام شيخ الأبطح وانقياده إلى هذا الدين، بل لوجد روح الإيمان الصادق تتجلى له من خلال أبياته، وتلوح لعينيه ظاهرة بين فجواته ومنعرجاته، هذا شيخ الأبطح بملء فيه منادياً كما مر: (يا شاهد الله علّي فاشهد) إلخ،

---

(١) ص ٢٣.

ونداؤه أيضاً: (ولقد علمت بأن دين محمّدٍ ... من خير أديان البرية دينا) حقاً إن لم يكن هذا صريحاً في الإيمان فلا أقل أنه صريح في إلقاء السلم كما لا يخفى، وإلاّ فما الذي حدا أمنع الناس داراً وأعزهم جواراً أن يهتف بهذا النداء ويشهد شاهد الله على ما يقول سوى الانقياد لمحمّد صلى الله عليه وآله؟ ففي هذه الأبيات ما يكفي لإفلاج حجة الخصم وإقامة الحجة عليه فيما تحمل له من التشكيك في إيمان شيخ الأبطح.

نعم، إيمان أبي طالب عليه السلام أجلى من أن يعتريه شك أو ريب، وإنما الشك جاء من مرض القلوب وعمى البصائر، وهذا المرض الدفين وتلك العماية البارزة هما اللذان دفعا بالأمم السابقة لمقاومة الأنبياء باليد واللسان، وجهزا لقريش والعرب جنوداً تطوعت لحرب النبي الأمين صلى الله عليه وآله حتّى أرغمها الله بسيف أمير المؤمنين عليه السلام، فخضعت لكلمتي الشهادة طوعاً وكرهاً ورغبة ورهبة، ولكن ما زالت تلك الأمراض في القلوب والنفوس، ولما وجدوا الفرصة بموت النبي صلى الله عليه وآله انتهزوها للوثبة، فاظهروا حسيكة النفاق، واستمروا على الانقلاب يقاومون الحق وأهله، فمن يوم السقيفة، إلى يوم الشورى، إلى يوم البصرة، إلى يوم صفين، إلى يوم النهروان، وأين أنت عن يوم الطف الذي تجلت فيه الضلالة، أخفي على القوم أنه ابنِ بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه وريحانته وسيد شباب أهل الجنّة؟ أفهل أنكر عليه أحد يوم احتج عليهم بملابسه وشمائله إذ قال لهم: «هل تعلمون أن هذه عمامة جدي رسول الله أنا لابسها؟» قالوا: اللهم نعم... إلخ.

ولكن ما قادهم لحربه إلاّ الضغائن والأحقاد والطلب بثارات بدر وتلك المواقف، وأنا لا أدري أكان الطفل الرضيع صاحب الثأر حتّى ينتقموا منه، أو النساء المخدرات حتّى ينتصفوا منهنّ بسلب الأبراد ونهب الرحال؟

* * *

إجماع أهل البيت عليهم السلام على إسلام أبي طالب

﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَداءُ وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

علم أهل القبلة كافة أن أهل البيت عليهم السلام مجمعون على إسلام أبي طالب عليه السلام، وإجماع أهل البيت حجة بالغة وآية محكمة، فإنهم معصومون من الزلل منزهون عن الخطأ وكل ريب بنص القرآن المجيد ﴿إنما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2].

قال عمرو الجاحظ وهو من فصاح الكلم: هم سنام العالم، وصفوة الأمم، وغِراة[3] العرب، ولباب البشر، ومصاص[4] بني آدم، وزينة الدنيا، وحلة الدهر، والطينة البيضاء، والغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن المكارم، وينبوع الفضائل، وأعلام العلم، وأيمان الإيمان، صلوات الله عليهم أجمعين والحمد لله رب العالمين.[5]

وقال الصاحب بن عباد في فصل له من فضل آل محمّد: فهم والله الشجرة الطيبة، والغمامة الصيبة، والدر الفاخر، والبحر الزاخر الذي ليس يدرك له آخر، إن عُدّت المكارم فهم بنو بجدتها، أو ذُكرت المعالي فهم بنو

---

(١) آل عمران: ٩٩.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) غر غراً وغراراً وغَررَ غرارة صار شريفاً.

(٤) المُصّة والمُصاص من الشيء خالصه أو سره، يقال: فلان كريم المصاص، وهو مصاص قومه: إذا كان أخلصهم نسباً، يستوي فيها الواحد والاثنان والجمع المذكر والمؤنث.

(٥) أنظر: زهر الآداب ١: ٥٩.

نجدتها، أو دارت الحرب فهم الأقطاب، أو تحاورت المقاول فهم فصل الخطاب، الفضل العلوي، والفخر الحسني، والإباء الحسيني، والزهد الزيني، والعلم الباقري، والحديث الصادقي، والحلم الكاظمي، والتفنن الرضوي، والمعجز الجوادي، والبرهان الهادي، وخذ إلى الحسن وابنه من دوح الفضل وغصنه، إمامٌ بعد إمام يعتم بالنبوة ويتقمص بالإمامة ويتمنطق بالكرامة.

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم أين ما ذكروا

وقال آخر:

تتنافح الأفواه إن ذكروا بها طيبا ويأرج مجلس المتذكر[١]

ذكر الخطيب البغدادي من تاريخه:[٢] أن يحيى بن معاذ الرازي الواعظ دخل على علوي ببلخ زائراً له ومسلماً عليه، فقال له العلوي: أيد الله الأستاذ، ما يقول فينا أهل البيت؟ قال: ما أقول في طين عجن بماء الوحي وغرس بماء الرسالة، فهل يفوح منهما إلاّ مسك الهدى وعنبر التقى (انتهى).

على أن في شعر أبي طالب عليه السلام الدلالة الصريحة على إسلامه، وقد وقفتم على جملة منه، غير أن أبا طالب تستر في إسلامه عن قريش لمصلحة الإسلام، وللقيام بخدمات سيد الأنام، وإنْ أبا طالب جاهر بمعتقده أمام عتاة قريش لهانت عليهم إهانته ولخفروا ذمامه في جميع أدواره مع النبي صلى الله عليه وآله، ولرموه عن قوس واحد كما رموا محمّداً صلى الله عليه وآله، وقد كانت له المنزلة السامية في نفوسهم قبل إظهاره الدعوة، وهذا التستر من الضروريات الأوّلية لمثل أبي طالب عليه السلام، وهو الذي حنكه الدهر وعلمته التجارب وراضته سياسة العرب وأفهمته من أين تؤكل الكتف، هذا هو السر في كتمه الإسلام، وتظاهره بحياطة محمّد صلى الله عليه وآله لصرف كونه ابن أخيه ليس إلاّ، وربما ظهرت

(١) عنه: مسند الإمام الرضا ١: ٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٤: ٢١٤.

لهم عقيدته وتبينت على أسلات لسانه في النظم والنثر بنوع من الإجمال في مورد ليبقى له في توجيه كلامه عند قريش مجال، ولم يكن هذا التكتم والإبداء إلاّ لما توحيه إليه فطنته وتقتضيه حكمته في متفرقات الأحوال بالنظر لمصلحة النبي صلى الله عليه وآله.

كيف لا يكون أبو طالب عليه السلام مؤمناً وقد وردت الشهادة من الله تعالى بإيمانه؟ لما ورد عن الإمام الصادق جعفر عليه السلام [قال]: «إن جبرئيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد، إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين».[(١)]

ذكر ذلك (أيضاً) القاضي دحلان المتقدم الذكر في أسنى المطالب الذي ألفه في نجاة أبي طالب، وقد أورد عنواناً كافياً، وصدّر كتابه بالفرق بين الإيمان والإسلام، ونحن يمكننا أن نحتج به على الخصم، لأنه علم من أعلام المسلمين وثقة من ثقاتهم، فكلامه حجة قاطعة، وقد كان أحد الطاعنين في إسلام أبي طالب، ولكن لا أدري ألزمته الحجة بعد تأليف السيرة، أم أنه راجع الصواب وعاد إلى بيان الحقيقة وأناب، أم أنه نسي ما أفاد، أم أنه وافق أهل نحلته على الخطأ واتبع أكابر مذهبه على ارتكاب الخطيئة؟ وكيف كان فقد قال في كتابه المسمى بـ(أسنى المطالب في نجاة أبي طالب) المطبوع بمصر في مقدمته:

أما بعد، فإني وقفت على تأليف جليل للعلامة النبيل مولانا السيد محمّد بن رسول البرزنجي المتوفى سنة ١١٠٣ في نجاة أبوي النبي صلى الله عليه وآله، وذيّله في آخره بخاتمةٍ في نجاة أبي طالب عمّ النبي صلى الله عليه وآله، وأثبت نجاته وأقام أدلة على ذلك ببراهين من الكتاب والسنّة وأقوال العلماء يحصل لمن تأملها أنه ناج بيقين، مع بيان معانٍ صحيحة للنصوص التي تقتضي خلاف ذلك،

---

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة ١٤: ٧٠؛ بحار الأنوار ٣٥: ١١١.

حتّى صارت جميع النصوص صريحة في نجاته، وسلك مسلكاً ما سبقه إليه أحد، بحيث ينقاد لأدلته كل من أنكر نجاته، وجحد كل دليل استدل به القائلون بعدم نجاته، قلبه عليهم وجعله دليلاً لنجاته، وتتبع كل شبهة تمسّك القائلون بها بعدم النجاة. ثمّ ذكر بعد كلام معنى الإيمان فقال في (ص ٣):

[معرفة الإيمان]:

أما إثبات الإيمان فإنه يتوقف أوّلاً على معرفة الإيمان.

ومعناه شرعاً: التصديق القلبي بوحدانية الله ورسالة النبي صلى الله عليه وآله، والتصديق بكل ما جاء به عن الله، وأما الإسلام شرعاً فهو: الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية، ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وآله: «الإسلام علانية والإيمان في القلب»[1] فقد يجتمعان وذلك في المصدق بقلبه المقر بالشهادتين، وينفرد الإسلام عن الإيمان في المنافق الذي ينطق بالشهادتين وينقاد للأحكام ظاهراً وهو بقلبه مكذب غير مصدّق، وينفرد الإيمان عن الإسلام فيمن يصدِّق بقلبه ولا ينطق الشهادتين عناداً، ولا ينقاد للأفعال الظاهرة الشرعية، وذلك ككثير من علماء اليهود عرفوا أن سيدنا محمّداً صلى الله عليه وآله صادق ولم ينطقوا بالشهادتين ولم يتبعوه ولم ينقادوا لما جاء به، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[2] فهم لم يقرّوا برسالته عناداً، وهم يعتقدون في قلوبهم صدقه في دعوى الرسالة، فهؤلاء مؤمنون به في الباطن مكذبون به في الظاهر عناداً، فلا ينفعهم الإيمان الباطني، حيث كان تكذيبهم الظاهري عناداً.

وأما إذا كان الانقياد الظاهري وعدم النطق بالشهادتين تعذر لا لعناد فإن الإيمان الباطني ينفع صاحبه باطناً عند الله تعالى في الدار الآخرة، ولكنه في الظاهر يعامل معاملة الكفار، فيقال إنه كافر بحسب أحكام الدنيا.

---

(١) بحار الأنوار ٦٥: ٢٣٩؛ كنز العمال ١: ٢٧/ ح ١٩.

(٢) البقرة: ١٤٦.

[الاعذار المانعة من اظهار الإيمان]:

والعذر الذي يمنع من الانقياد في الظاهر له أسباب، منها: الخوف من ظالم، بأن يخاف إن أظهر إسلامه وانقياده أن يقتله أو يؤذيه أذىً لا يحتمل، أو يؤذي أحداً من أولاده أو أقاربه، فهذا يجوز له إخفاء إسلامه، بل لو أكرهه الظالم على التلفظ بالكفر فإنه يجوز له أن يتلفظ به، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] ومن هذا القبيل إيمان أبي طالب عليه السلام من [عدم] الانقياد في الظاهر خوفاً على ابن أخيه وهو سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله، فإنه كان يحميه وينصره ويدفع عنه ليبلغ رسالة ربه، وكان كفار قريش يمتنعون من إيذاء النبي صلى الله عليه وآله رعايةً لأبي طالب عليه السلام ولحمايته، وكانت رياسة قريش بعد عبد المطلب لأبي طالب، فكان أمره عليهم نافذاً، وحمايته عندهم مقبولة، لعلمهم أن أبا طالب على ملّتهم ودينهم، ولو علموا أنه أسلم واتبع النبي صلى الله عليه وآله فإنهم لا يقبلون حمايته ونصره، بل كانوا يقاتلونه ويؤذونه ويفعلون معه من الأذى أكثر مما يفعلونه بالنبي صلى الله عليه وآله، ولا شك أن هذا عذرٌ قوي لأبي طالب عليه السلام، [وهو أنفع][2] من إظهار الانقياد الظاهر والاتّباع للنبي صلى الله عليه وآله، فلهذا كان يظهر لهم أنه على دينهم وليس تابعاً للنبي صلى الله عليه وآله، ليدفع بها عن نفسه الشبهة والتهمة من أنه متبع للنبي صلى الله عليه وآله، لينفذ حمايته ونصره، إلى ما هنالك.

وروى العلامة الفتوني في (ضياء العالمين) رواه جمع عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عبّاس: أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنه

---

(١) النحل: ١٠٦.

(٢) ليس في المخطوط، وأثبتناه لاقتضاء السياق.

فقال له: يا بن عمّ رسول الله أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ فقال: نعم، وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل ـ وأنشد بيتاً من شعره ذكرناه فيما تقدم ـ ثمّ قال: إن أبا طالب عليه السلام كان مثله مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين.(١)

وروى أيضاً الفتوني في كتابه عن الشعبي رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش».(٢)

وقال أبو الفداء في تاريخه(٣) ما هذا لفظه: توفي أبو طالب عليه السلام في شوال سنة عشر من النبوة، ولما اشتد مرضه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عمّ قلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة ـ يعني الشهادة ـ»، فقال له أبو طالب عليه السلام: يا ابن أخي لولا مخافة الشبهة وأن تظن قريش إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، فلما تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرك شفتيه، فأصغى إليه العبّاس بإذنه وقال: والله يا ابن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحمد لله الذي هداك يا عمّ» هكذا روي عن ابن عبّاس، إلى أن قال: ومن شعر أبي طالب عليه السلام:

ودعوتني وعلمت أنك صادق ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

ولقد علمت بأن دين محمّد ... من خير أديان البرية دينا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّى أوسد في التراب دفينا

ثمّ قال: وكان عمر أبي طالب عليه السلام بضعاً وثمانين سنة.

---

(١) أنظر أيضا: أمالي الصدوق: ٧١٢ /ح ١٢/٩٨٠.

(٢) أنظر أيضا: بحار الأنوار ٣٥: ١١٤.

(٣) مج ل ص ١٢٠ ط م سنة ١٣٢٥.

[أبيات للسيد عليّ خان في مدح أبي طالب]:

يقول العلامة السيد عليّ خان في مقطوعته:

أبو طالب عمّ النبي محمّد ... به قام أزر الدين واشتد كاهله

ويكفيه فخراً في المفاخر أنه ... مؤازره دون الأنام وكافله

لئن جهلت قوم عظيم مقامه ... فما ضرّ ضوء الصبح من هو جاهله

ولولاه ما قامت لأحمد دعوة ... ولا انجاب ليل الغي وانزاح باطله

أقرّ بدين الله سراً لحكمة ... فقال عدو الحق ما هو قائله

وماذا عليه وهو في الدين هضبة ... إذا عصفت من ذي العناد أباطله

وكيف يحل الذم ساحة ماجد ... أواخره محمودة وأوائله

عليه سلام الله ما ذرّ شارق ... وما تليت أحسابه[1] وفضائله[2]

هذا وإن لأبي طالب عليه السلام المكان الرفيع والجاه العظيم ومقعد صدق عند مليك مقتدر، ولم ينل ذلك إلاّ بكفاءة واستحقاق أهل لذلك، وهو أهل ومحل، لخدماته، لقوة إيمانه وإسلامه، فإن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إن أبي لو شفع في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله تعالى» قالها عليه السلام عندما كان جالساً في الرحبة والناس حوله، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذب في النار؟ فقال عليه السلام: «مه فض الله فاك، والذي بعث محمّداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، أبي يعذب في النار وابنه قسيم الجنّة والنار؟! والذي بعث محمّداً بالحق إن نور أبي طالب عليه السلام ليطفيء أنوار الخلائق إلاّ خمسة

(١) في المصدر: أخباره.

(٢) أنظر: الدرجات الرفيعة: ٦٢.

أنوار؛ نور محمّد صلى الله عليه وآله، ونوري، ونور فاطمة، ونور الحسن، ونور الحسين، ونور ولده من الأئمّة، إلاّ أن نوره من نورنا خلقه الله تعالى من قبل خلق آدم بألفي عام».(١)

ويقول الصادق(٢) جعفر عليه السلام: «إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين».(٣)

واليك قول الباقر عليه السلام:(٤) «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه».(٥)

كل ذلك بطرقٍ صحاح معتبرة، فهل يجوز للمسلم أن يصرف النظر عن هذه الأخبار التي خرّجها أئمّة الحديث والنسب الثقاة لكون أن البخاري لم يخرج إيمان أبي طالب عليه السلام في صحيحه؟! والبخاري نفسه يقول: إن

---

(١) أنظر: أمالي الطوسي: ٣٠٥ و٧٠٢؛ بحار الأنوار ٣٥: ٦٩، بتفاوت يسير في الألفاظ.

(٢) يقول ابن خلكان في الوفيات: كان الصادق من سادات أهل البيت، وأهل البيت منزهون عن الكذب، وإنما لقب بالصادق لصدقه في المقال. (وفيات الأعيان ١: ٣٢٧).
وقال الذهبي في الميزان: جعفر بن محمّد أحد الأئمّة الأعلام، برٌّ، صادقٌ، كبير الشأن. (ميزان الاعتدال ١: ٤١٤).

(٣) كنز الفوائد: ٨٠

(٤) قال ابن خلكان: كان الباقر عليه السلام عالماً، سيداً، كبيراً، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم، أي توسع، والتبقر: التوسع، وفيه يقول الشاعر: (يا باقر العلم لأهل التقى ... وخير من لبى على الأجبل)، (وفيات الأعيان ٤: ١٧٤).
وفي هامش القاموس ط مصر سنة ١٣٣٠ في باب بقرة قال: والباقر محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام، إلى قوله: لقب بالباقر لتبحره في العلم وتوسعه، وأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه، وقد ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: «يوشك أن تبقى حتّى تلقى ولداً لي من الحسين يقال له محمّد يبقر العلم بقرا، فإذا لقيته فاقرئه مني السلام». (انتهى).

(٥) شرح نهج البلاغة ١٤: ٦٨.

كثيراً من الأخبار الصحيحة لم أدخلها في كتابي الجامع خوف التطويل، ذكر ذلك الخطيب البغدادي في تاريخه بترجمة البخاري (مج ٣).[١]

ولا خفاء أن البخاري كان منحرفاً عن آل أبي طالب، شديد العداوة لهم، فإذن فإسلام أبي طالب على خلاف ما يظنه ذووا الأغراض والتعصب الممقوت أو الأغبياء المقلدة لمن سلف ممن استخدمتهم السياسة الأموية واستهواهم زبرجها ردحاً من الدهر، فإنهم جدّوا في مقاومة أهل البيت عليهم السلام وإطفاء نورهم بشتى الأساليب، ولكن الله بالغ أمره.

إن الأمويين وأنصارهم حسبوا أن بخلق الأكاذيب في بيان الفضل للأمويين ومن مهد لهم سبل الأمرة، وبمقاومة أهل البيت عليهم السلام وأشياعهم ومحاربتهم بكل طريق ينقضون دعائم النبوة ويقضون على الروح العلوية، ولم يعلموا أن تلك الحياة النبوية مستمدة من فيضه ولطفه تعالى، وهل غالب الله أحد فغلب عليه.

وأصدق شاهد على هذه الحقيقة ما نشاهده اليوم، فأين معاوية ومكره، وأين يزيد وكفره، وأين آل مروان، وذلك الملك والسلطان، أليس أصبحت مساكنهم خاوية على عروشها بما ابتدعوه من الجور والعدوان؟

وهذه اليوم آثار عليّ وأولاده بارزة للعيان، هذه قبابهم تسطح بالذهب الوهاج، تنادي بملء فيها:

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

هذه زوّارهم عدد الألوف والملايين من مختلف الطبقات من الملوك والسلاطين تتزاحم على الأعتاب:

---

(١) أنظر: تاريخ بغداد ٢: ٩.

تـــزاحم تيجـــان الملـــوك ببابـــه ويكثـــر عنـــد الاســـتلام ازدحامهـــا

إذا مـــا رأتـــه مـــن بعيـــد ترجّلـــت وإن هـــي لـــم تفعـــل ترجّـــل هامهـــا

أفيحـسب معاويـة لعنـه الله أنـه أبـاد ذكـر أهـل البيـت عليهم السلام وفـضل أميـر المـؤمنين عليه السلام يـوم جعـل سبّه مـن الفـرائض الحتميـة، أم يحـسب يزيـد أنـه محـى آثارهم يوم عدا على الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه؟

* * *

نقض تفسير الآيات التي يستدل بها المكفرة لأبي طالب

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً﴾.[1]

نبحث الآن في هذا العنوان في نقض تفسير الآيات التي تمسّكت بها المكفِرة لأبي طالب عليه السلام، ذلك لإظهار الحق وإعلائه وإزهاق الباطل وإخماده، وهو آخر بحث لنا، نسأله تعالى أن يرزقنا شفاعة أبي طالب وأولاده المعصومين عليهم السلام يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، فنقول:

نحن لو رجعنا إلى ما تمسكت به المكفرة لوجدناه في غاية الوهن، ولذا نرى أن أهل التحقيق لم يحفلوا به، بيد أن جماعة من الناس اعتمدوا على أخبار ملفقة وأقوال بدون حجة، وأغفلوا البحث عن صحتها وسقمها وعما يعارضها من الصحاح:

[الدليل الأوّل: رواية سعيد بن المسيب]:

(منها): ما يروونه عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة قال له رسول الله صلى الله عليه وآله في كلام: لأستغفرنَّ لك، فأنزل الله تعالى: ﴿ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾.[2]

[الجواب]:

إن رواية نزول هذه الآية في أبي طالب عليه السلام [غير معتبرة، وذلك لأنها]:[3]

---

(١) الأحزاب: ٥٧.

(٢) التوبة: ١١٣.

(٣) ما بين المعقوفتين أثبتناه لاقتضاء السياق.

[أوّلاً]: مخدوشة السند.

[ثانياً]: لا يصح أن يكون ذلك شأن نزولها.

[ثالثاً]: معارضة بما هو أقوى منها سنداً وأقرب اعتباراً.

وكل واحدة من هذه الجهات الثلاث تسقطها عن درجة الاعتبار عند أهل الفن.

سندها:

سمعت أنهم يروونها عن سعيد بن المسيب، وسعيد هذا لا يوثق بروايته مع اشتهاره بالانحراف عن أمير المؤمنين عليه السلام، يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج:

وكان سعيد بن المسيب منحرفاً عنه عليه السلام، وجبهه عمر بن عليّ عليه السلام في وجهه بكلام شديد.

[انحراف سعيد بن المسيب عن عليّ]:

روى عبد الرحمن بن الأسود عن أبي داود الهمداني قال: شهدت سعيد بن المسيب _ وأقبل عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام _ فقال له سعيد: يا ابن أخي ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كما يفعل أخوتك وبنوا أعمامك! فقال عمر: يا بن المسيب أكلما دخلت المسجد أجيء فأشهدك! فقال سعيد: ما أحب أن تغضب، سمعت أباك يقول: إن لي من الله مقاماً لهو خير لبني عبد المطلب مما على الأرض من شيء، فقال عمر: وأنا سمعت أبي يقول: ما من كلمة حكمة في قلب منافق فيخرج من الدنيا إلاّ يتكلم بها، فقال سعيد: يا ابن أخي جعلتني منافقاً؟! قال: هو ما أقول لك. ثمّ انصرف.(١)

هذه الشدة والمصارحة من عمر بن عليّ عليه السلام مع ابن المسيب لم تكن إلاّ عن انحرافه الشديد عن والده عليه السلام، وإلا فليس في كلام ابن المسيب مع

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ١٠١.

عمر ما يوجب هذا القدر من قوارص الكلم، وقد تجلى لنا أثر انحراف سعيد بما يرويه لنا جمع من أهل السير، منهم الواقدي: من أن سعيد بن المسيب مرّ بجنازة السجاد عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ولم يصلّ عليها، فقيل له: ألا تصلي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين؟ فقال: صلاة ركعتين أحب لي من الصلاة على الرجل الصالح.[1]

وهذا القدر كافٍ في جرح ابن المسيب وإسقاط ما يرويه.

شأن نزولها:

نرى أن كلام النبي صلى الله عليه وآله مع أبي طالب كان قبل وفاته كما هو نص رواية سعيد، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وهذه الآية هي الرابعة عشر بعد المائة من سورة التوبة، وسورة التوبة أُنزلت في غضون السنة التاسعة بعد الهجرة، وإذاً بين قوله صلى الله عليه وآله لعمه: (لأستغفرنّ لك) وبين نزول الآية إثنا عشر سنة، وعليه فمن الغريب المستهجن جداً نزول هذه الآية في أبي طالب والحالة هذه.

معارضتها بما هو أصح منها سنداً وأقرب اعتباراً:

يقول الدحلاني في أسنى المطالب:[2] رأينا علياً عليه السلام روي عنه بطرق صحيحة رواها الإمام أحمد والترمذي والطيالسي وابن أبي شيبة والنسائي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي: أن السبب في نزول هذه الآية استغفار أناس لآبائهم المشركين.

قال عليّ عليه السلام: «سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟! فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله، فنزلت: ﴿ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية».

---

(١) أنظر: الغدير ٨: ٩، نقلا عن الواقدي.

(٢) ص ١٨.

فهذه الرواية صحيحة، وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عبّاس، قال: كانوا يستغفرون لآبائهم حتّى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتّى يموتوا، ثمّ أنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ..﴾[1] الآية، بمعنى استغفر له ما دام حياً، فلما مات أمسك عن الاستغفار له.

قال: وهذا شاهد صحيح، فحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح، فالأرجح أنها نزلت في استغفار أُناس لآبائهم المشركين لا في أبي طالب عليه السلام. (انتهى).

إذاً فتمسك المكفّرة برواية ابن المسيب مع الخدش في سندها، وعدم مطابقتها لشأن نزول الآية، ووجود ما هو أصح منها، بمكان من الوهن وتنكب عن جادة الإنصاف، وخلاف لما عليه أهل التحقيق كالزمخشري في كشافه[2] عند الكلام على هذه الآية، حيث لم يصحح نزولها في أبي طالب، وكالعلامة السيد محمّد بن رسول الملقب بالبرزنجي، حيث تتبع ما روي في نزول الآية، وبعد التحقيق قال كما في أسنى المطالب:[3] والصحيح أنها نزلت في آباء الناس الذين ماتوا في الكفر، وكان أولادهم يستغفرون لهم.

[الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾]:

(ومنها): قولهم: إن النبي صلى الله عليه وآله لمزيد حبه لعمّه أبي طالب عليه السلام طلب منه أن يؤمن، فأبى، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

---

(١) التوبة: ١١٤.

(٢) أنظر: ج ٢: ٤٩؛ عنه الغدير ٨: ١٣.

(٣) ص ١٧.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١][٢] ويستدلون على ذلك بما يحكيه الزجاج من إجماع المسلمين على نزولها في أبي طالب عليه السلام.

[الجواب]:

يجدر بكل منصف أن يقضي عجباً من دعواهم الإجماع الموميء إليه، فإن الشيعة الإمامية وهم من أكبر طوائف الإسلام لا يرون نزولها في أبي طالب عليه السلام تبعاً لأئمّتهم الذين هم أعلم الناس بأسباب النزول، وهم خزّان العلم علم الرسول وبهم عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب.

اللهم إلاّ أن يخرجوا الشيعة وأئمّتهم عليهم السلام من فرق الإسلام كما أخرجوا أبا طالب، وليس ذلك عليهم بالبعيد، تلك سمة إجماعهم وهذه حالته.

[سبب نزولها]:

وأما الأخبار التي حكت نزول الآية في أبي طالب عليه السلام فهي معارضة بما يسقطها عن الحجية، ذلك بما يذكره أبو المجد ابن رشادة الواعظ الواسطي في كتابه (أسباب النزول) عن الحسين بن الفضل من أنها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، وكان النبي صلى الله عليه وآله يحبه ويحب إسلامه.[٣]

ويقرب ما يروى عن الحسن بن الفضل إجماع المسلمين بدون استثناء على نزول الآية التي بعد هذه الآية في الحارث نفسه،[٤] لكن انحراف القوم عن أبي طالب عليه السلام صرف الآية الأولى إليه، وقد روي لنزول الآية أسباب أُخر لا نطيل الكلام بتعدادها.

---

(١) القصص: ٥٦.

(٢) أنظر: الدر المنثور ٥: ١٣٤.

(٣) عنه: بحار الأنوار ٣٥: ١٥٢.

(٤) أنظر: جامع البيان ٢٠: ١١٥؛ أسباب النزول للواحدي: ٢٢٨؛ الدر المنثور ٥: ١٣٢...

وبالجملة فإن جهل القوم بأسباب النزول بإعراضهم عن آل الرسول عليهم السلام هو الذي دعاهم إلى دعوى نزول الآية في أبي طالب عليه السلام.

اللهم احكم بيننا وبين الذين ظلموا عمّ رسولك الكريم صلى الله عليه وآله وأنت خير الحاكمين.

[الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ﴾]:

(ومنها): قولهم أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ﴾[1] أُنزل في أبي طالب عليه السلام.

[جوابه]:

وهو كما ترى، فإن من لاحظ سوابق الآيات ولواحقها يرى أن الآية وما قبلها وما بعدها نزلت في اليهود، والقول بخلاف ذلك يوجب تفكيك نظم الآيات وذهاب جزالتها، وهذا هو الذي ذهب إليه أبو حيان، وأشار إليه أبو السعود في تفسيره، على أن زعمهم الفاسد هو خلاف ما اتفقت عليه كلمة المفسرين كافة، حيث ذكروا لسبب نزول الآية وجوهاً وهذا ليس منها، فراجع تفسير الرازي والزمخشري والبيضاوي وأبي السعود والدر المنثور في التفسير بالمأثور وغيرها تتحقق أن ليس لنزولها في أبي طالب عليه السلام عين ولا أثر، ولا جرم أن كانت دعواهم مجردة عن البرهان، فإن تنكب الحق يفسد الرأي ويذهب بالرؤية.

[الدليل الرابع: رفضه النبي صلى الله عليه وآله دعوته للإسلام]:

(ومنها): ما يروونه من أن النبي صلى الله عليه وآله حضر أبا طالب عليه السلام عند الموت، وكان عنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية المخزومي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أي عم قل لا إله إلاّ الله، كلمة أحاج لك بها»، فقال أبو جهل لعنه الله وعبد الله بن أبي أمية أترغب عن

---

(١) البقرة: ١١٩.

ملة عبد المطلب؟ وما زالا يرددان القول حتّى قال أبو طالب آخر ما كلمهم فيه أنه على ملة عبد المطلب ولم يقل كلمة الشهادة.[١]

[الجواب]:

ليت شعري كيف يصح لمحاجج أن تسكن نفسه لمثل هذه الرواية وهي على ما هي عليه من الوهن؟ أم كيف يسوغ له أن يتخذها حجة بيده يصول بها على خصومه في تأييد مزعمته؟ في حين أنه يرى في سلسلة رجال السند مثل إسحاق بن إبراهيم بن راهويه ونظير معمر بن راشد وكلاهما قد خفّت كفتهما في الرواية في ميزان الذهبي، ولذا يقول: قال أبو عبيد الآجري: سمعت أبا داود يقول: إسحاق بن راهويه تغير قبل موته بخمسة أشهر، وسمعت منه في تلك الأيام فرُميت به، وذكر شيخنا أبو الحجاج حديثاً عنه فقال: قيل: إسحاق اختلط.[٢]

ويقول الميزان في معمر بن راشد: له أوهام معروفة احتملت له، وقال أبو حاتم: ما حدث به معمر بالبصرة ففيه أغاليط.[٣]

وبقطع النظر عن الجرح في رواة الرواية كما سمعت، فإن الرواية معارضة بما روي بأسانيد عديدة عن العبّاس تارة وعن أبي بكر أخرى من أن أبا طالب عليه السلام ما مات حتّى قال: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله.[٤]

ومع مماشاة الخصم وتسليم صحة الرواية فالرواية لا تكون له بل هي عليه، ولذا نراها لا تدل على أكثر من أن النبي صلى الله عليه وآله إنما سأل من عمّه كلمة التوحيد عند

---

(١) أنظر: الدر المنثور ٣: ٢٨٢.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ١٨٣.

(٣) ميزان الاعتدال ٤: ١٥٤.

(٤) أنظر: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧١؛ الدرجات الرفيعة: ٤٩.

الموت ليشهد له بأنها هي آخر عهده بالكلام كما هو المعروف من السنة النبوية إلى اليوم من الإشهاد على التوحيد لدى الوصية كتباً وطلب أهل الميت منه حال النزاع الاعتراف بالوحدانية قولاً، فطلب النبي صلى الله عليه وآله من عمّه كلمة التوحيد لذلك، لا لأنه كان يطلب منه أن يدخل في الإسلام في ذلك الحين، بل هو مسلم من أوّل يومه، بيد أنه لما كان السؤال بمحضر من عتاة قريش وطواغيتها نظير أبي جهل _ وكانوا يعتقدون أن أبا طالب عليه السلام على دينهم _ أجمل أبو طالب الجواب بما يوهم جبابرة قريش أنه منهم، جرياً على سياسته في الاحتفاظ بمصلحة حضرة الرسالة صلى الله عليه وآله، ويشهد لنا في اتخاذ أبي طالب عليه السلام هذه السياسة ما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر...» الحديث الذي مر عليك.

وبذلك الإجمال خفّض من غلواء قريش على النبي صلى الله عليه وآله، وأجاب النبي صلى الله عليه وآله إلى ما أراد بالكناية في آن واحد، فإن في قوله عليه السلام: أنه على دين عبد المطلب مقنعاً لعتاة قريش، حيث يرون أن عبد المطلب منهم، وفي الوقت نفسه جواباً كنائياً عن سؤال رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه أراد من قوله إني على ملة عبد المطلب: أني مقر بالوحدانية، كما هو معلوم لدى النبي صلى الله عليه وآله من حال من كان على ملة عبد المطلب، وقد أسلفنا تحت عنوان (مولده ونشأته) ما يدل على إيمان عبد المطلب وآباء النبي صلى الله عليه وآله أجمع سلام الله عليهم، وإيمانهم مما قام عليه إجماع الإمامية.[1]

---

(١) بل ويضيف المجلسي قوله - كما في بحار الأنوار ١٥: ١١٧ -: ... بل كانوا من الصديقين، إما أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، ولعل بعضهم لم يظهر الإسلام لتقية أو لمصلحة دينية. (انتهى).

وقد استدل الإمامية بأخبار كثيرة تدل على إيمان آبائه صلى الله عليه وآله، منها:

قوله صلى الله عليه وآله: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتّى أخرجني في عالمكم، ولم يدنسني بدنس الجاهلية». أنظر: مجمع البيان ٤: ٩٠؛ والبحار ١٥: ١١٧ و١١٨؛ وتفسير الرازي ٢٤: ١٧٤؛ والسيرة الحلبية ١: ٣٠؛ والدر المنثور ٥: ٩٨؛ وسيرة دحلان ١: ١٨؛ وتصحيح الاعتقاد: ٦٧...

⇦

وقد ذهب إلى ذلك جمع من أعلام غيرهم،(١) وألفوا في ذلك رسائل، فراجع تأليفات السيوطي في هذا الباب.(٢)

إن أبا طالب عليه السلام لم يكتف بالكناية في جواب سؤال النبي صلى الله عليه وآله، وإنما أجابه بها في حال الاضطرار والتقية من فراعنة قريش، وبعده لم يزل يترقب الفرص لإجابة النبي صلى الله عليه وآله صريحاً في الإشهاد على كلمة التوحيد في أخريات كلامه في دار الدنيا.

وقد جعل طلب النبي صلى الله عليه وآله نصب عينه وهو يجود بنفسه، حتّى إذا قام المشركون الألداء من المجلس ـ وكان في ذلك الوقت قد خفي صوته

⇦ ولو كان في آبائه صلى الله عليه وآله كافر، لم يصفهم كلهم بالطهارة، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾، إلاّ أن يكون المقصود هو الطهارة من العهر، أو من الأرجاس والرذائل، وهو لا يلازم الكفر.

ومنها: بقوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ الشعراء: ٢١٨ و٢١٩، لما روي عن ابن عبّاس، وأبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام: أنه صلى الله عليه وآله لم يزل ينقل من صلب نبي إلى نبي. أنظر: اختيار معرفة الرجال ٢: ٤٨٨؛ مجمع الزوائد ٧: ٨٦؛ تفسير ابن كثير ٣: ٣٦٥.

ومنها: واستدلوا على إيمان آبائه صلى الله عليه وآله إلى إبراهيم بقوله تعالى، حكاية لقول إبراهيم وإسماعيل: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ البقرة: ١٢٧، مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ الزخرف: ٢٨، أي في عقب إبراهيم ، فيدل على أنه لا بدّ أن تبقى كلمة الله في ذرية إبراهيم، ولا يزال ناس منهم على الفطرة يعبدون الله تعالى حتّى تقوم الساعة. ولعل ذلك استجابة منه تعالى لدعاء إبراهيم الذي قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم: ٣٥، وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ إبراهيم: ٤٠. وغير ذلك مما لا يسع ذكره...

(١) منهم: المسعودي، واليعقوبي في تاريخه، و الماوردي في أعلام النبوة، وأبو نعيم في سيرته، والفخر الرازي في أسرار التنزيل، وغيرهم...

(٢) من مصنفاته في ذلك: (الدرج المنيفة في الآباء الشريفة)، و(المقامة السندسية في النسبة المصطفوية)، و(التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله صلى الله عليه وآله في الجنّة)، و(السبل الجلية في الآباء العلية)، و(نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين)، و(أنباء الأذكياء في حياة الأنبياء عليهم السلام).

ودنت ساعته ـ تشهد صريحاً، وجعل الاعتراف بالوحدانية والرسالة آخر كلامه، ويرشدنا إلى ذلك ما روي عن العبّاس من أنه لما تقارب من أبي طالب الموت نظر إليه العبّاس فرآه يحرك شفته، فأصغى إليه بإذنه، فسمع منه الشهادة، فقال للنبي صلى الله عليه وآله: يا ابن أخي والله لقد قال الكلمة التي أمرته بها.(١)

وقد أقرّ العبّاس شهادته تلك بعد إسلامه، حيث قال: ما مات أبو طالب حتّى قال: (لا اله إلا الله محمّد رسول الله) وعليه فليس للخصم أن يخرج شهادة العبّاس، وهي قوله: (يا ابن أخي، والله لقد قال الكلمة التي أمرته بها) بأن هذه الشهادة كانت منه حال كفره كما لا يخفى.

الدليل الخامس: حديث الضحضاح:

﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.(٢)

مما تمسكت به المكفِّرة واستدلّت به على كفر أبي طالب عليه السلام (حديث الضحضاح)، وقد اشتهرت روايته عندهم.

قالوا: إن العبّاس بن عبد المطلب قال للنبي صلى الله عليه وآله: ما أغنيت عن عمّك أبي طالب، فوالله كان يحوطك ويغضب لك؟ فقال صلى الله عليه وآله: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».(٣)

وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وقد

---

(١) أنظر: سيرة ابن هشام ٢: ٢٨٤؛ البداية والنهاية ٣: ١٥٢؛ الغدير ٧: ٣٧٠.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) صحيح البخاري ٤: ٢٤٧؛ الإصابة ٧: ٢٠١؛ البداية والنهاية ٣: ١٥٤...

ذكر عنده عمّه يقول: «لعله تناله شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه».[1]

وهذا الحديث نفسه ذكر بسند آخر بزيادة كلمة واحدة، حيث قالوا: تغلي منه (أم) دماغه.[2]

[الجواب]:

سند الحديث:

قبل كل شيء نرشد المطّلع إلى ملاحظة سند الحديث الأوّل وسند الحديث الثاني، وآنئذ يرى في سلسلة سند الحديث الأوّل سفيان الثوري يرويه عن عبد الملك بن عمر، أما سفيان فمدلس يكتب عن الكذابين، وأما عبد الملك فيضعفه ويغلطه نظير الإمام أحمد وكفى.

يقول الذهبي في الميزان: سفيان الثوري كان يدلس عن الضعفاء، وقيل في شأنه أنه يدلس ويكتب عن الكذابين.[3]

ويقول في عبد الملك في الميزان أيضاً: عبد الملك بن عمير القاضي في الكوفة، قد ضعّفه الإمام أحمد وقال: أنه يغلط، وقال ابن معين: أنه مخلط، وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه، وذكر الكوسج عن أحمد: أنه ضعيف جداً.[4] وذكره ابن الجوزي فذكر جرحه وما ذكر له تعديلاً.

ويرى أيضاً في السلسلة الأولى من سند الحديث الثاني عبد الله بن

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٢٤٧؛ صحيح مسلم ١: ١٣٥...

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢٤٧؛ البداية والنهاية ٣: ١٥٤...

(٣) أنظر: ميزان الاعتدال ٢: ١٦٩.

(٤) السابق: ٦٦٠.

يوسف التنيسي يرويه عن الليث بن سعد عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، والثلاثة المومئ إليهم لا وزن لروايتهم.

يقول الذهبي في ميزانه: عبد الله بن يوسف التنيسي، قد ذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء.[1]

ويقول في الليث: قال ابن معين: كان الليث يتساهل في الشيوخ والسماع... [قال الذهبي]: لولا أن النباتي ذكر الليث في تذييله على الكامل (وهو في الضعفاء) لما ذكرته...[2]

ويقول في ابن الهاد: يزيد بن عبد الله بن الهاد... لم أذكره إلاّ لأن أبا عبد الله بن الحذاء أورده في باب من ذكر بجرح من رجال الموطأ.[3]

وأما السلسلة الثانية، ففيها عبد العزيز بن محمّد الدراوردي يرويه عن ابن الهاد، أما ابن الهاد فهو الذي تعرفت به آنفاً، وأما عبد العزيز فليس لأئمّة القوم وثوق في قوله، يقول في الميزان: عبد العزيز بن محمّد الدراوردي... قال فيه أحمد بن حنبل: إذا حدث من حفظه يهم، ليس هو بشيء...، إذا حدّث من حفظه جاء ببواطيل... وقال فيه أبو حاتم: لا يحتج به.[4]

ولو فرض أن ادّعى الخصم توثيق أولئك الرواة، فالخصم محجوج بما قُرّر في أصول الفقه من أن الترجيح في جانب الجارح كما لا يخفى، وعليه فلا مسوغ للتمسك بمثل هذه الأخبار التي اطلعت على حقيقة رواتها ومقدار مكانتهم عند أئمّة القوم.

ولا من شك أن إمارات افتعال هذا الحديث تترائى لك في أسلوبه من جهة، وفيما صح سنداً عن أهل بيت العصمة في تكذيبه من جهة أخرى.

---

(١) السابق: ٢٥٨.

(٢) أنظر: ميزان الاعتدال ٣: ٤٢٣.

(٣) أنظر: ميزان الاعتدال ٤: ٤٣٠.

(٤) أنظر: ميزان الاعتدال ٢: ٦٣٣.

يقول الصادق عليه السلام: «يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟» _ أراد بالناس أعدائهم _ قال يونس: جُعلت فداك، يقولون: إنه في ضحضاح من نار تغلي منه أم رأسه، فقال عليه السلام: «كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين».(١)

ويقول الباقر محمّد عليه السلام عندما سُئل عما يقول الناس في أبي طالب وأنه في ضحضاح من نار: «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه»، ثمّ قال: «ألم يعلموا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله وأبي طالب في حياته، ثمّ أوصى في وصيته بالحج عنهما؟».(٢)

ويقول زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام وقد سُئل عن حديث الضحضاح: «وا عجبا، إن الله تعالى نهى رسول الله أن يقر مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتّى مات».(٣)

وروى الشيخ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه بإسناد له أن عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسني المدفون بالري كان مريضاً، فكتب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: عرفني يا بن رسول الله عن الخبر المروي أن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه؟ فكتب إليه الإمام عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار».(٤)

---

(١) كنز الفوائد: ٨٠

(٢) شرح نهج البلاغة ١٤: ٦٨؛ بحار الأنوار ٣٥: ١٥٦. ويروى نحوه عن الإمام الهادي عليه السلام، أنظر: مستدرك الوسائل ٨: ٧٠.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٤: ٦٨؛ بحار الأنوار ٣٥: ١٥٧.

(٤) بحار الأنوار ٣٥: ١١١.

وحاشا أهل بيت العصمة أن يجرّهم التعصب لوالدهم فيقولون فيه ما ليس له، فإنهم عِدل القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنص السنة المقدسة: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[١] فهم كالقرآن منزهون عن الزلل والخطل، وهم المطهرون عن الأرجاس في محكم التبيان.[٢]

[الدليل السادس: اعتراف عليّ عليه السلام بضلال أبيه]:

(ومنها): ما يروونه عن سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب.

يقول ناجية: قال عليّ عليه السلام: أتيت النبي صلى الله عليه وآله فقلت له: إن عمّك الشيخ الضال قد مات _ يعني أباه _ فقال صلى الله عليه وآله: إذهب فواره. الحديث.[٣]

[الجواب]:

يلزمنا أوّلاً وبالذات أن ننظر في رجال السند الثلاثة، ليكون المطلع على بصيرة من أمرهم، ثمّ نوكل الحكم في قبول هذه الرواية وعدمه إليه.

[النقاش في سند الحديث]:

نقول: أما ابن عيينة سفيان فهو مدلس كما في الميزان.[٤]

وأما عمرو بن عبد الله أبو إسحاق السبيعي فهو من محدّثي السوء

---

(١) أنظر: سنن الترمذي ٥: ٣٢٨؛ مسند أحمد ٣: ٥٩؛ المعجم الكبير ٣: ٦٦... رووه وغيرهم بتفاوت في الألفاظ.

(٢) إشارة إلى قوله تعلى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣.

(٣) أنظر: مسند أحمد ١: ٩٧؛ وسنن النسائي ١: ١١١؛ وسنن البيهقي ١: ٣٠٤...

(٤) أنظر: ميزان الاعتدال ٢: ١٧١.

وشيوخ الرشى الذين يتقاضون من معاوية الراتب الشهري على اختلاق الأحاديث تأييداً لسلطانه وإرغاماً لأنوف آل أبي طالب.

يقول الذهبي في الميزان: عمرو بن عبد الله أبو إسحاق السبيعي... فرض له معاوية العطاء ثلاث مائة،... ويقول: روى ابن جرير عن مغيرة، قال: ما أفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحاق والأعمش.(١)

هذا هو الذي يلزم الخصم بطرح رواية أبي إسحاق، ونحن نستلفت القرّاء علاوة على ما تقدم إلى خصوص ما يرويه سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق ليكونوا على بصيرة من أمر هذه الرواية، ذلك بما يحكيه في الميزان عن الفسوي، يقول الذهبي: قال ابن عيينة ـ يعني سفيان ـ: حدّثنا أبو إسحاق في المسجد وليس معنا ثالث، فقال الفسوي: يقول بعض أهل العلم كان قد اختلط أبو إسحاق، وإنما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه.(٢)

وبتعبير أوضح: إن القوم لم يأخذوا فيما يروى عن أبي إسحاق من طريق ابن عيينة، لأخذه عنه حال اختلاطه ليس إلاّ، ويشهد لذلك أن مولد ابن عيينة سنة ١٠٨ ووفاة أبي إسحاق كانت في سنة ١٢٩، وقيل كانت قبل ذلك، وبهذا التقريب يُستنتج أن ابن عيينة لم يدرك أبا إسحاق إلاّ في أيام اختلاطه.

وإليك حالية ناجية بن كعب، يقول الذهبي في الميزان: توقف ابن حبان في توثيقه، وقال الجوزجاني في الضعفاء: هو مذموم، وقال ابن المدني: لا أعلم أن أحداً حدّث عن ناجية بن كعب سوى أبي إسحاق.(٣)

وأبو إسحاق هو ذلك المستأجَر الذي تعرفت به آنفاً.

---

(١) أنظر: ميزان الاعتدال ٣: ٢٧٠.

(٢) السابق.

(٣) أنظر: ميزان الاعتدال ٤: ٢٣٩.

هـذه هـي حـال رجـال الـسند، وزد علـى ذلـك أن الرواية معارضـة بمـا أخرجه ابـن عـساكر عـن علـيّ عليه السلام قـال: «أخبـرت النبـي صلى الله عليه وآله بمـوت أبـي طالـب، فبكى وقال: اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه».[(١)]

[الدليل السابع: عدم وراثة عليّ عليه السلام وجعفر من أبيهما]:

(ومنهـا): مـا يقـال مـن أن عليّـاً عليه السلام وجعفـراً لـم يأخـذا مـن تركـة أبـي طالب عليه السلام.

يقولون: وذلك آية ما ندّعيه، لقوله صلى الله عليه وآله: «لا توارث بين أهل ملتين».

[الجواب]:

وفي ذلك ما لا يخفى، فإنه لو سلم لهم المدعى والعياذ بالله، فهو لا يستدعي أن لا يأخذ عليّ عليه السلام وجعفر من تركة أبي طالب، فإن من ضروريات مذهب أهل البيت عليهم السلام أن المسلم يرث الكافر ولا يرث الكافر المسلم، وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وآله: «لا تـوارث بـين أهـل ملتين» لـيس إلاّ، لأن التـوارث تفاعـل، والتفاعـل لا يحـصل إلاّ مـن طرفين، فإذا ورث طرف دون الآخر لم يتحقق التوارث، وعليه فعدم أخذهما عليهما السلام من تركة أبيهما لا دلالة فيه على ما يدّعون.

[الدليل الثامن: لم ينقل انه صلى]:

(ومنهـا): مـا ينقـل مـن أن أبـا طالـب عليه السلام لـم ينقـل عنـه أنـه صـلّى، والـصلاة هي التي تميز المؤمن عن غيره.

[الجواب]:

يقـول ابـن أبـي الحديـد فـي الجـواب عـن هـذه الـشبهة: يجـوز أن يكـون لأن

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣٣٦.

الصلاة لم تكن بعد قد فرضت، وإنما كانت نفلاً غير واجب، فمن شاء صلى ومن شاء ترك، ولم تفرض الصلاة إلاّ بالمدينة، انتهى.(١)

على إن عدم النقل لا يدل على عدم حصول الصلاة، سيما لمثل أبي طالب عليه السلام الذي كان يتستر بمثل الصلاة ونحوها من الشعائر الإسلاميّة، بلحاظ سياسته مع القوم، واحتفاظاً بمركزه في نفوس الكفرة لمصلحة الإسلام.

* * *

(١) شرح نهج البلاغة ١٤: ٨٣

[بحث في معنى الضحضاح وتفرعاته]

في قصدنا أن نفهم معنى الضحضاح، وعلى من ينطبق، والأخبار المختصة به، ومن أين منبعها ومغرسها؟

فنقول: إن هذه الأخبار المختصة بذكر الضحضاح من نار وما شاكلها كلها من متخرصات ذوي الفتن وروايات أهل الضلال وموضوعات بني أمية وأشياعهم الناصبين العداوة لأهل بيت النبي ﷺ، وهي في أنفسها تدل على أن مفتعلها والمجتري على الله بتخرصها متحامل غمر جاهل قليل المعرفة باللغة العربية التي خاطب الله بها عباده وأنزل بها كتابه، لأن الضحضاح لا يُعرّف في اللغة إلاّ لقليل الماء، فحيث عدل به إلى النار ظهرت فضيحته، واستبان جهله وتحامله، وأيضاً فإن الأمّة متفقة على أن الآخرة ليس فيها سوى الجنّة والنار، فالمؤمن يدخله الله الجنّة، والكافر يدخله الله النار، فإن كان أبو طالب كافراً على ما يقوله المخالف فما باله يكون في ضحضاح من نار من بين الكفار؟ ولمَ تُجعل له نار وحده من بين الخلائق، والقرآن متضمن أن الكافر يستحق التأبيد والخلود في النار؟

فإن قيل: إنما جعل في ضحضاح من نار لتربيته للنبي ﷺ، وذبّه عنه، وشفقته عليه، ونصره إيّاه.

قلنا: في تربية النبي ﷺ والذّب عنه وشفقته عليه والنصرة له طاعة لله تعالى يستحق في مقابلها الثواب الدائم، فإن كان أبو طالب فعلها وهو مؤمن، فما باله لا يكون في الجنّة كغيره من المؤمنين؟ وإن كان فعلها وهو كافر فإنها غير نافعة له، لأن الكافر إذا فعل فعلاً لله تعالى فيه طاعة لا يستحق عليه ثواباً،

لأنه لم يوقعه لوجهه متقرباً به إلى الله تعالى، من حيث أنه لم يعرف الله تعالى ليتقرب إليه، فيجب أن يكون عمله غير نافع له، فما استحق أن يُجعل في ضحضاح من نار، فهو إما مؤمن يستحق الجنّة كما نقول، وإما كافر يستحق التأبيد في الدرك الأسفل من النار على وجه الاستحقاق والهوان كغيره من الكفار، وهذا لا يقوله المخالف، وقد أبطلنا أن يكون في ضحضاح من نار، فلم يبق إلاّ أن يكون في الجنّة حسب ما بيّناه.

[شخصية المغيرة بن شعبة]:

وأيضاً فإن هذه الأحاديث المتضمنة أن أبا طالب في ضحضاح من نار مختلفة، أصلها واحد، وراويها منفرد بها، لأنها جميعها تستند إلى المغيرة بن شعبة الثقفي، لا يروي أحد منها شيئاً سواه، وهو رجل ظنين في حق بني هاشم، متهم فيما يرويه عنهم، لأنه معروف بعداوتهم، مشهور ببغضه لهم والانحراف عنهم، روي أنه شرب في بعض الأيام، فلما سكر قيل: ما تقول في بني هاشم؟ فقال: والله ما أردت لهاشمي قط خيراً، وهو الذي حسّن لعائشة الخروج إلى البصرة حتّى كان من أمرها ما كان بغضاً لأمير المؤمنين عليه السلام، وهو مع بغضه لبني هاشم واشتهاره بالانحراف عنهم رجل فاسق، وثبوت فسقه معلوم عند الأمّة لوجوه:

منها: أنه زنى فأسقط عمر بن الخطاب الحد عنه بتلقين الشاهد الرابع، وقصته مشهورة وحكايته معلومة.

وهي أنه لما عزل عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان عن البصرة وبعث بالمغيرة بن شعبة غزا ميسان ففتحها وبعث أبا بكرة بشيراً بالفتح، وأقام بالبصرة أميراً وقد اتخذت بها المنازل وكثر بها الناس وحسن بها حالهم، ثمّ رجع أبو بكرة إلى البصرة قافلاً من عند عمر، فكان المغيرة بن شعبة يخرج كل يوم من دار الأمارة وسط النهار، فيلقاه أبو بكرة فيقول: أين تذهب أيها الأمير؟

فيقول: لي حاجة، فيقول له: ما هذه الحاجة؟ إن الأمير يزار ولا يزور، وكانت امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها أم جميل بنت سبيعة وكان لها زوج من قومها يقال له الحجاج بن عبيدة جارة لأبي بكرة، فبينا أبو بكرة في غرفة له وعنده أخواه نافع وزياد ورجل آخر يقال له شهل بن معبد وغرفة الهلالية بحذاء غرفة أبي بكرة، قال: فضربت الريح باب غرفة جارة أبي بكرة الهلالية ففتحته، فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة بن شعبة على المرأة ينكحها.

قال: فقال أبو بكرة لأصحابه الثلاثة: إنكم قد ابتليتم فأثبتوا الشهادة، قال: فنظروا حتّى أثبتوا، قال: فنزل أبو بكرة فجلس حتّى مر عليه المغيرة خارجاً من عند المرأة، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت، فاعتزلنا، وكتب إلى عمر بن الخطاب بالذي كان، فكتب عمر إلى المغيرة وإلى الشهود جميعاً أن يقدموا عليه، فلما قدموا عليه صفهم، ودعا أبا بكرة قبلهم، فأثبت الشهادة وذكر أنه رآه يدخل كما يدخل الميل في المكحلة، وقال: لكأني أنظر إلى أثر الجدري بفخذ المرأة، ثمّ دعا نافعاً فشهد بمثل شهادة أبي بكرة وأثبتها، ثمّ دعا شبل بن معيد فشهد بمثل شهادة نافع وأبي بكرة وأثبتها، فقال عمر بن الخطاب أودى المغيرة الأربعة.

ثمّ دعا زياداً، فلما أقبل قال عمر: إني لأرى رجلاً ما كان ليشهد اليوم إلاّ بحق، ويروى أن عمر لما رأى زياداً قال: إني لأرى وجه رجل ما كان الله يخزي رجلاً من المهاجرين بشهادته، فقال شبل بن معد وهو الثالث من الشهود: فتجلد شهود الحق وتبطل الحد أحب إليك يا عمر؟ فقال عمر لزياد: ما تقول؟ فقال: قد رأيت منظراً قبيحاً ونفساً عالياً، ولقد رأيته بين فخذي المرأة ولا أدري هل كان خالطها أم لا، فقال عمر: الله أكبر، فقال المغيرة: والله أكبر، الحمد لرب الفلق، والله لقد كنت علمت أني سأخرج عنها سالماً، فقال له عمر: اسكت، فوالله لقد رأوك بمكان سوء، فقبح الله مكاناً رأوك فيه، وأمر بجلد الشهود الثلاثة.

فقال نافع: أنت والله يا عمر جلدتنا ظلماً، أنت رددت صاحبنا أن يشهد بمثل شهادتنا، أعلمته هواك فاتبعه، ولو كان تقياً كان رضاء الله والحق عنده آثر من رضاك، فلما جلد أبا بكرة قام وقال: أشهد لقد زنى المغيرة، فأراد عمر أن يجلده ثانياً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن جلدته رجمت صاحبك.[1]

وهذا فقه مليح منه عليه السلام، لأنه عليه السلام أراد أنه إذا جلد وتكلم كملت الشهادة أربعة، فإذا كملت الشهادة وجب رجم المشهود عليه، انتهى.

وروي أن المغيرة لعنه الله لما مات وخرج به قومه إلى الجبانة، فحين دفنوه وسووا عليه قبره أقبل راكب من ناحية البرية على ناقة حتّى وقف على قبر المغيرة، وأنشأ يقول:

أمن رسم قبر للمغيرة[2] يعرف ... عليه زواني الجن والأنس تعزف

لعمري لئن لاقيت فرعون بعدنا ... وهامان فاعلم أن ذا العرش

فكيف يجوز اعتقاد ما يرويه المغيرة وهذه صفته، ويترك ما اتفق عليه أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وشيعتهم الذين هم أهل الرواية وحضان الدراية؟!

* * *

(١) أنظر نص ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢: ٢٣٣. بتفاوت.

(٢) كذا في المخطوط، وفي المصدر: دار من مغيرة.

(٣) أنظر: شرح نهج البلاغة ٤: ٧١.

توقف بن أبي الحديد في إيمان أبي طالب

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.[1]

مهما يكن من شيء فما كان في الحسبان أن مثل ابن أبي الحديد يحيد عن جادة الاعتدال فيتوقف في إيمان أبي طالب بعد أن سرد في الفصل نفسه ما يوضح له الحجة من شعره الصريح في إيمانه ومما ورد فيه من الأخبار الشاهدة له بذلك.

يقول في شرح النهج: وتقف في صدري رسالة النفس الزكية وهو محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام إلى المنصور وقوله فيها: فأنا ابن خير الأخيار، وأنا ابن شر الأشرار، وأنا ابن سيد أهل الجنّة، وأنا ابن سيد أهل النار، فإن هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر، وهو ابنه وغير متهم عليه وعهده قريب من عهد النبي صلى الله عليه وآله، ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً، وجملة الأمر أنه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البينتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقف، فأنا في أمره من المتوقفين، انتهى.[2]

أنت ترى أن توقفه هذا إنما هو لوقوف هذه الرسالة في صدره كما لا يخفى على من عرف لحن القول وفصل الخطاب، عندما تجده يطنب في تغريب اعتبار الرسالة: فإن هذه شهادة منه على أبيه، وهو ابنه وغير متهم عليه... إلخ، لكن المعتزلي

---

(١) الزمر: ٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٤: ٨٢.

لأمر ما تترّس بتعارض الأخبار للتوقف، فارتجل ذلك التخلص، حيث قال: وجملة الأمر أنه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، وفي موته على دين قومه أخبار كثيرة، إلى أن قال: فأنا في ذلك من المتوقفين.

[رد على المعتزلي ابن أبي الحديد]:

[فأقول]: أما الأخبار فلا تعارض بينها، لبداهة أن التعارض فرع التكافؤ، وأخبار الباب غير متكافئة، فإن ما يرويه الخصم أمر تفرد به على ما فيه من علاّت وهنات وضعف وبُعد، لوجوه أسلفناها لك فيما تقدم، وأخبار كهذه لا تصلح لمعارضة أخبار يرويها الفريقان في إيمانه عليه السلام، وفوق هذا هي معتضدة بإجماع أهل البيت عليهم السلام على وفقها.

وأما الأسطورة المنسوبة إلى النفس الزكية، فليت المعتزلي تنبه إلى البحث عن راويها، وهل هو سوى عثمان بن سعيد بن سعد المدني.

كلا ثمّ كلا، وسعيد هذا من مجاهيل الرواة، وعليه فلا نُدحة عن سقوط هذه الرسالة من صدر أمثال ابن أبي الحديد إلى مستقرها، وليس له أو لغيره إلاّ أن يحشرها محشر الأساطير.

إن صاحب الوجدان يكاد أن يقتنع جداً بوضع الرسالة كُلاً أو بعضاً لأوّل نظرة فيها برويّة، حيث يجد هذه الفقرة: (وأنا ابن شر الأشرار) لا تكاد تصدر عن مثل محمّد صاحب النفس الزكية في حق مثل أبي طالب عليه السلام، وإن سألت عن السبب في ذلك؟ قلنا لك: إن محمّداً ذا النفس الزكية كان يدّعي الخلافة وينازع من سواه في أمرها، وكان الناس في عصره لا يشكّون في أنه المهدي، ومن كانت له هذه الشخصية، وكانت الثقة فيه عامة يستبعد منه جداً أن يسجل على نفسه بقلمه عند عدوّه الألد هذا الكذب الصريح (قوله: أنا ابن شر الأشرار)، لأن معنى ذلك هو أن أبا طالب لا أشر منه في

عصره أو في قومه، وذلك قولٌ تأباه الحقيقة، حتّى لو فرض محالاً أن أبا طالب مات على دين قومه، حيث لا نجد أحداً من سائر الملل والنحل يقول أنه كان أسوء حالاً من أبي لهب أو شر من أبي جهل وأضرابهما، في الوقت الذي يرى أن شر أبي جهل قد طبق الأرض في الطول والعرض، وخير أبي طالب وسوقه كل جميل وبذله كل عناية ولحاظه كل رعاية لمحمّد ﷺ وللإسلام عامة لا يجهله ابن أُنثى، وعليه كيف يجوز للعاقل أن يظن صدور مثل هذا من ذي النفس الزكية وهو في ذلك المقام المملوء حماساً؟ وهل يفخر بمثل هذا سوى أحمق مدخول العقل؟!

أيها المعتزلي، فلنضرب صفحاً عن ذلك كلّه، ولنسلم لك صدور الرسالة عن النفس الزكية، بيد أن لنا أن نسأل: بأي الدلالات فهمت أن المعنيّ بشر الأشرار هو أبو طالب؟ وهل كان في الفقرة تصريح أو ظهور أوجب انصرافها إليه؟ اللهم لا، إلاّ من طريق التخرص، وإذا أرجعنا تعيين مداليل الألفاظ إلى التخرص، فلماذا لم يكن المعني بشر الأشرار هو طلحة بن عبيد الله، فإن طلحة هذا والد أم إسحاق وهي جدة صاحب النفس الزكية؟ ولماذا لم يكن المعنى بالفقرة عبد العزى بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى، وعبد العزى هذا من مشيخة كفرة قريش في زمانه؟

وبالوجدان إن الانتساب إلى آباء الأب والأم كليهما أبلغ في مقام الافتخار من الانتساب إلى آباء أحدهما، وهل الخرص بإرادة أبي طالب من تلك الجملة إلا كالخرص بإرادة طلحة وعبد العزى منها، إذاً فأي قرينة عيّنته دونهما؟ أجيبونا يا منصفون.

وهنا نناقش ابن أبي الحديد الحساب على ما بقي من شطط كلامه، وغلطه الواضح في مرامه، أتَقِفُ في صدره شهادة ذا النفس الوهمية _ معللاً ذلك بأن الشهادة هذه من ابنه _، ولا تقف في صدره شهادة ابنه الصلبي وهو

أفضل من صاحب النفس وأجلّ وأعلا منزلة منه ومحلاً في نفوس الأمّة بجملتها وقولاً واحداً؟

يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «ما مات أبو طالب حتّى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا».(١)

ويقول عليه السلام: «والذي بعث محمّداً بالحق نبياً إن أبي لو شفع في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله».(٢)

وبديهي أن باب مدينة العلم عليه السلام أعرف بوالده، فإنه رآه وعاشره زمناً طويلاً، فوقف على حقيقة أمره، ومحمّد صاحب النفس لم يره هو ولا أبوه ولا جده بل أبو جده».

أتقف في صدره الأسطورة ولا تقف في صدره شهادة زين العابدين والصادقين والباقرين عليهم السلام؟ وقد تقدمت شهاداتهم عليهم السلام آنفاً في درء شبه حديث الضحضاح، فراجع.

وأنت يا رعاك الله تعالى إذا وقفت على قوله في تقريب صحة الأسطورة: (وعهده قريب من عهد النبي صلى الله عليه وآله، ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً) ترى العجب، فإن من البيّن جلياً أنه لو كان المناط في وضع الأحاديث هو طول العهد عن عهد النبي صلى الله عليه وآله لما وضعت ملايين الأخبار في زمن ابن أبي سفيان كما اعترف به ابن أبي الحديد نفسه، فراجع ما نقلناه عنه آنفاً، ولكان افتعال الأخبار في زمن العباسيين ـ بناءً على قاعدته التي ضربها ـ أولى وأجلى.

إن بعض متأدبي هذا العصر يضم ابن أبي الحديد في سلك الإمامية، وأنت ترى إعراضه عما ورد عن أئمّتهم صحيحاً في إيمان أبي طالب عليه السلام،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧١.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٠٥؛ بحار الأنوار ٣٥: ٦٩.

وفي اختياره التوقف في أمره أكبر شاهد على فساد رأي ذلك المتأدب، وخير دليل على مواربة ابن أبي الحديد لأبي طالب وآل أبي طالب وشيعتهم.

وعلى أي حال فإننا لو أردنا مماشاة ابن أبي الحديد في الموافقة على ما يرتأيه من التعارض بين طائفتي الأخبار فإننا لا يسعنا أن نقف معه حيث وقف في إيمان أبي طالب عليه السلام، لأن اكتشاف الحقيقة وتعرّف الواقع غير منحصر في السنة، وإلاّ لطال وقوفنا في كثير من الأحكام لدى التعارض.

هذا كتاب الله، وهو الحجة القاطعة لكل خصام لدى كل مسلم يهتف بنا قائلاً: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾(١) ومن المعلوم أن المراد بالسلم في الآية هو السلام، وكلاهما بمعنى الاستسلام كما نص على ذلك الزمخشري في كشافه،(٢) فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾(٣) أي أنهم استسلموا للأمر وانقادوا إليه.

وإذا رجعت إلى شعر أبي طالب محللاً منه نفسيته ومستكشفاً منه ميله وهواه، لوجدته أصدق شاهد على إسلام شيخ الأبطح وانقياده إلى هذا الدين، بل لوجدت روح الإيمان الصادق تتجلى لك من خلال أبياته، وتلوح لعينيك ظاهرة بين فجوائه ومنعرجاته، هذا شيخ الأبطح ينشد بملء فيه منادياً كما مرّ عليك:

يا شاهد الله عليّ فاشهد   إنّي على دين النبي أحمد

من ضلّ في الدين فإني مهتد(٤)

حقاً، إن لم يكن هذا صريحاً في الإيمان، فلا أقل أنه صريح في إلقاء السلم كما لا يخفى، وإلاّ فما الذي حدا أمنع الناس داراً

---

(١) النساء: ٩٤.

(٢) ج ١: ٥٥٢.

(٣) النحل: ٨٧.

(٤) مرّ سابقاً.

وأعزهم جواراً أن يهتف بهذا النداء ويشهد شاهد الله على ما يقول سوى الانقياد لمحمّد صلى الله عليه وآله.

بهذا ونحوه يُلزمك الكتاب المجيد بالاعتراف في إيمان أبي طالب عليه السلام، ولا يدع لك مجالاً للتوقف فيه، هذا كله على التنازل مع ابن أبي الحديد، وإلاّ فهاك صفحة من نفسية أبي طالب عليه السلام تقرأ فيها توحيده للخالق وإيمانه بالمبدأ والمعاد وإقراره بالعبودية له تعالى، ولقد مرّ عليك البعض منه: يقول أبو طالب عليه السلام:

مليك الناس ليس له شريك ... هو الوهاب والمبدي المعيد

ومن تحت السماء له بحق ... ومن فوق السماء له عبيد[1]

وهاك الصفحة الأخرى في بيتين له آخرين تتلو فيها إقراره برسالة محمّد صلى الله عليه وآله من لدن جبار السماوات والأرض:

نصرت[2] الرسول رسول المليك ... ببيض تلألأ كلمع البروق

أذب وأحمي رسول الإله ... حماية حام عليه شفيق[3]

هذه الأبيات الأربعة تكفلت بتحليل نفسيته فصورته لنا موحداً مؤمناً بالله ورسوله واليوم الآخر، وإليك أيضاً ما يدلّك صريحاً على إيمانه بكتاب الله المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وآله، حيث يقول:

أنت الرسول رسول الله نعلم ... عليك نزل من ذي العزة الكتب[4]

ففي هذه الأبيات ما يكفي لإفلاج حجة الخصم وإقامة الحجة عليه فيما تمحل

---

(١) مرّ سابقاً.

(٢) في بعض المصادر: منعنا.

(٣) أنظر: شرح نهج البلاغة ١٤: ٧٤؛ أنساب الأشراف: ٣١؛ بحار الأنوار ٣٥: ١٦٢...

(٤) أنظر: مناقب آل أبي طالب ١: ٥١؛ بحار الأنوار ١٨: ٢٠٣.

له من التشكيك في إيمان شيخ الأبطح، سيما وأن الإيمان عند الخصم لا يتوقف على لفظ خاص كقول: (لا إله إلا الله محمّد رسول الله)، بل إن المعروف من طريقته إثبات الإيمان بكل لفظ يدل على الشهادة بالتوحيد والرسالة، وإن لم يكن بتلك الصيغة الخاصة، بل وإن لم يكن باللغة العربية كما يرشدك إلى ذلك ما حكاه العلامة الدحلاني في أسناه[1] نقلاً عن السيد محمّد البرزنجي، قال:

ثمّ ليعلم أن المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصها كما ذكر النودي في الروضة ونسبه إلى الجميع، فنقل عن الحليمي في منهاجه أنه لا خلاف أن الإيمان ينعقد بغير القول المعروف، وهو كلمة (لا إله إلاّ الله) حتّى لو قال: (لا إله إلاّ الرحمن) أو (إلاّ الرحيم) أو (ما من إله إلاّ الله)، وكذا لو قال: (محمّد نبي الله) أو (مبعوثه)، أو (أحمد مبعوثه)، أو غير ذلك، أو ما يؤدي ذلك باللغات العجمية صح إسلامه وحكم بكونه مسلماً، انتهى.

ومن هنا يمكنك أن تستنتج أن القوم لا يفرقون في الإقرار بالشهادتين بين النظم والنثر كما هو الحق.

* * *

---

(١) أسنى المطالب: ٥.

[شعر أبي طالب دليل على إيمانه]

إن شعر أبي طالب عليه السلام في هذا الباب كثير وكثير جداً، فمن ذلك قوله:

لقــد علمــوا أن ابننــا لا مكــذب لــدينا ولا نعبــأ بقــول الأباطــل[1]

وقوله:

ألــم تعلمــوا أنــا وجــدنا محمّــداً نبيــاً كموســى خــط فــي الكتــب[2]

وقوله:

إن ابـــن آمنـــة النبـــي محمّـــداً عنـــدي كمثـــل منـــازل الأولاد[3]

وقوله:

والله لا أخـــــذل النبـــــي ولا يخذلـــه مـــن بنـــيّ ذو حـــسب[4]

وقوله:

نبــي أتــاه الــوحي مــن عنــد ربــه ومــن قــال: لا، يقــرع بهــا ســن نــادم[5]

وقوله:

أنـــــت النبـــــي محمّـــــد قـــــرم[6] أغـــــر مـــــسود[7]

---

(١) مرّ سابقاً.

(٢) أنظر: عمدة الطالب: ٢٢؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٥٧.

(٣) أنظر: تاريخ دمشق ٣: ١٢؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٣٧.

(٤) مرّ سابقاً.

(٥) مرّ سابقاً.

(٦) القرم: السيد. العظيم.

(٧) الدرجات الرفيعة: ٥٣؛ بحار الأنوار ٣٥: ١٢٦.

وقوله:

ألا إن أحمد قد جاءهم ... بحق ولم يأتهم بالكذب[١]

وقوله في أبيات:

أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب ... على نبي كموسى أو كذي النون[٢]

وقوله يخاطب النجاشي كتباً:

أتعلم[٣] مليك الحبش أن محمّداً ... نبي كموسى والمسيح بن مريم

أتى بالهدى مثل الذي أتيا به ... وكل بأمر الله يهدي ويعصم

وإنكم تتلونه في كتابكم ... بصدق حديث لا حديث مترجم

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ... فإن طريق الحق ليس بمظلم[٤]

يدين أبو طالب عليه السلام بدين الحق، ويعترف لدى محكمة الضمير بأن محمّداً كموسى وكالمسيح بن مريم، قد صدع بأمر الله تعالى، يهدي إلى الصراط السوي، يدين بذلك كله عن اجتهاد ومعرفة، ولذا أهّل نفسه لأن يكون كمبشر ديني يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويدعم الدعوى بالحجة.

ففي أوّل كلامه مع ملك الحبشة استعلم حاله، فقال: (أتعلم أن محمّداً كموسى والمسيح؟) ولمّا كان ذلك دعوى مجردة، والدعوى لا تقبل بدون برهان ـ وسيما مثل هذه الدعوى ـ أولى بحجته في البيت الثالث، فقال له: أيها الملك إنكم أهل دين وكتاب سماوي، وكتابكم هذا أكبر شاهد على ما أقول في شأن محمّد صلى الله عليه وآله، وها أنتم تتلونه في المساء وفي البكور، ذلك

(١) إيمان أبي طالب للمفيد: ٣١؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٦٠؛ شرح نهج البلاغة ١٤: ٦٢.

(٢) مرّ سابقاً.

(٣) في بعض المصادر: تعلم، أو: ليعلم.

(٤) مرّ سابقاً.

الكتاب الذي لا ريب فيه في صدق حديثه عندكم، وبعد أن ألزمه الحجة دعاه إلى الطريق اللاحب،[١] فقال: (فلا تجعلوا لله نداً...) البيت.

وقوله يخاطب النبي ﷺ:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم — حتّى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك مخافة — وابشر بذاك وقرّ منك عيونا

ودعوتني وعلمت أنك صادق — ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا

ولقد علمت بأنّ دين محمّد — من خير أديان البرية دينا[٢]

يبتدئ أبو طالب كلامه مع النبي ﷺ بيمين الإخلاص لعرش النبوة بحماس شديد: (والله لن يصلوا إليك بجمعهم) البيت، ثمّ يطلب منه ﷺ نشر لواء النبوة على ربوع الحجاز بقوله: (فاصدع بأمرك)، ويشجعه على ذلك طوراً بنفي المخافة، وتارة بتعهده بذلك: (وابشر بذاك وقرّ منك عيونا)، ثمّ يجيب نداء المبعوث بالحق للخلق كافة، فيشهد عن علم جازم ويقين ثابت بأن دين محمّد ﷺ خير دين أُخرج للناس: (دعوتني وعلمت أنك صادق)، إلى آخر البيتين.

إن فيما ذكرنا من منظومه في هذا الباب ما يميط جلباب الظلام عن وجه هذه المشكلة، ولئِن شكّك مشكك في بعض ما نقلناه من المنظوم، ففيما صحّت روايته عنه عليه السلام عند الفريقين كفاية، وإن ديوانه لمنتشر بين الناس موجود في المكاتب، فليراجع من أراد زيادة التبحر والتنقيب.

* * *

---

(١) أي: الواضح.

(٢) مرّ سابقاً.

كلمة الختام

وفيها تحامل القوم على أبي طالب

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾.[1]

إن هذه الكلمة ـ وهي كلمة الختام ـ نستوضح فيها تحامل القوم على أبي طالب عليه السلام.

طالما حملنا الخصم على أحسن المحامل، وانتحلنا له أعذاراً بقدر الإمكان، حتّى لم يبْقَ في القوس منزع، ولا للحمل على الصحة موضع، ذلك لما نشاهده من اختلاف أحواله وتناقض أطواره، يتشبث بما هو أوهى من بيت العنكبوت، وبأخبار حلمية ليُثبت النجاة تارة والإيمان أخرى لكل قاسط عاهر ومارق ماكر وفاجر كافر، فإذا ذكرت له أبا طالب عليه السلام انعكست القضية وتغير المنحى وانقلب الأمر رأساً على عقب، ولذا تراه يستمسك بأخبار الضعاف والكَذَبَة لإثبات كفره والعياذ بالله، ويرشدك إلى ما نقول ما في (ضياء العالمين)، يقول المحقق الفتوني صاحب الضياء:

ذهب جمع إلى أن قاتل عمّار بن ياسر في الجنّة، ذلك لأن رجلاً رآهما في المنام معاً في الجنّة، في حين أن النص الصحيح الصريح عندنا وعندهم قد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: «إن قاتل عمّار في النار».[2]

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) أنظر: لسان الميزان ٢: ٢٠٤؛ طبقات ابن سعد ٣: ٢٦٢؛ كنز العمال ١٣: ٥٢٨؛ الغدير ١: ٣٣١.

وبتلك النغمة جاءنا جمع منهم أيضاً، فقالوا: إن قتلى القاسطين في صفين وقتلى المارقين في النهروان في الجنّة، ذلك لرؤيا رآها شرحبيل بن السمط عامل معاوية لعنه الله على حمص وشريك بسر بن إرطاة وأبي الأعور السلمي في أعمالهما ومناكيرهما في توطيد دعائم ملك معاوية، وقد ذكر ذلك الاستيعاب(١) في ترجمة شرحبيل، وهذا القدر يكفى في تعريف شرحبيل.

يقولون: قال شرحبيل: رأيت في المنام عمّار بن ياسر وذا الكلاع الذي قتله أصحاب عليّ عليه السلام في ثياب بيض في أفنية الجنّة، فقلت: ألم يقتل بعضكم بعضاً؟ فقالا: بلى، ولكن وجدنا الله واسع المغفرة، فقلت: ما فعل أهل النهر ـ يعني الخوارج ـ؟ فقيل لي: لقوا برحاً.(٢)

ولقد أغرب فريق منهم، فذهب إلى إيمان فرعون، حيث قال وقد أدركه الغرق: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إلهَ إلاّ الَّذي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائيلَ﴾(٣) والحال أن صريح القرآن يردّه: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.(٤)

ومن ذلك قولهم: أن حاتم الطائي يدخل النار لكفره، لكن لا يعذب مطلقاً لجوده، وأن كسرى أنوشروان لا يُعذب لعدله.

هذا هو المعروف من حالهم، فإذا عرجت بهم على أبي طالب قالوا: في ضحضاح من نار تغلي منه أم رأسه.

يا سبحان الله أترى أن كسرى ينفعه عدله، وحاتم يدفع عنه العذاب جوده، ولا تنفع أبا طالب قرابته القريبة من الشفيع محمّد صلى الله عليه وآله؟ ولا يغنى عنه جهاده بين يديه،

---

(١) الاستيعاب ١: ٥٨٩.

(٢) أنظر: سنن البيهقي ٨: ١٧٤؛ أسد الغابة ٢: ١٤٤؛ تاريخ دمشق ١٥: ٣٤٦؛ مصنف ابن أبي شيبة ٨: ٧٢٣.

(٣) يونس: ٩٠.

(٤) يونس: ٩١.

وذبه عنه، وتعريضه أولاده للقتل دونه، ومدائحه له، ونعمائه عليه مدة حياته، و... إلى آخر ما هنالك، وليت شعري كيف يكون أبو طالب والحالة هذه أسوأ حالاً من حاتم وكسرى، في حين أن لكل واحد منهما خصلة واحدة نظير العدل والجود مثلاً تكفل النجاة حسب المدعي ولا يكون نظير ذلك لأبي طالب وهو الذي له الخصال الحميدة التي لا تحصى؟ أترى يجوز عقلاً أو ينطبق على حالته التي عرفتها من جلاد وجهاد باليد والقلب واللسان وبذل كل عدّة وعتاد بين يديه ﷺ، ثمّ تكون نتيجة أعماله هذه مع النبي ﷺ الكريم أن يترقب فرصة موت ذلك العم البار ليجعل أجر إحسانه وجزاء برّه وحنانه ذمّه وقدحه من جملة سنته، يخبر الناس تارة أنه جمرة من جمرات جهنم، وطوراً أنه في ضحضاح من نار تغلى منه أم دماغه، إلى غير ذلك مما لا يسوغه الوجدان والمروءة؟

هبوا أن أبا طالب _ والعياذ بالله _ كما تزعمون، فهل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان، وبأي آلاء أبي طالب تكذبان.

أين أداء حق أبي طالب؟ أين أجر حياطته؟ أين ذكر مودته؟ أين وضع ذلك كله أبو طالب؟ أتراه وضعه في غير محله فذهب أدراج الرياح وجوزي بالسوأى عن الإحسان؟ كلا ثمّ كلا، أليس النبي ﷺ هو القائل: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»[1]؟ ولما أخبرته بنت أبي لهب أن الناس يقولون لها: بنت حطب النار، قام مغضباً وقال: «ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي، من آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى»،[2] أفكان أبو طالب أشر من أبي لهب فغضب النبي ﷺ لأبي لهب لقول الناس فيه حطب النار ولا يتحاشى هو من أن يحدّث الناس بأن أبا طالب جمرة من جمرات جهنم؟! أو

---

(١) كنز العمال ١٣: ٥٤١؛ شرح نهج البلاغة ١١: ٦٨.

(٢) أنظر: أسد الغابة ٥: ٤٧٣؛ الإصابة ٨: ١٢٨؛ ينابيع المودة ٢: ٤٥٧.

كانت بنت أبي لهب أغير على أبيها من عليّ عليه السلام وجعفر عليه السلام وعقيل عليه السلام؟!، أو كانت هي أجل منهم وأعز مكانة عند النبي صلى الله عليه وآله؟!

أيها الخصوم، إنكم لم تروا النبي صلى الله عليه وآله بالغ في ذم أحد من مردة قريش وكفرتها بعد موت أحدهم ـ حتّى الأعداء الألداء الذين حاربوه وأفجعوه بجملة من ذوي رحمه ـ، وإذاً فما قولكم فيما تدّعونه وتروونه عن النبي صلى الله عليه وآله من الذم والطعن في أبي طالب عليه السلام؟، ولست أدري كيف صارت محامد أبي طالب أسوأ حالاً من مخازي كفرة قريش؟ وعليه فها أنا استفتي الخصوم في ذلك، فما يقولون؟

وأعجب ما رأيته من الخصوم تضاهرهم في المراوغة عن طريق الحق، نذكر لهم مغامرة معاوية في الدين وولوغه في دماء المسلمين وقيامه على عليّ عليه السلام ظالماً له، ونذكّرهم ببوائق يزيد وإحداثه في الدين وتهتكه بمرأى ومسمع من كافة المسلمين، فيقولون: إن تلك الأحوال غابت عنا وبعدت أخبارها عن حقائقها، فلا يليق بنا أن نخوض في دقائق أمور الملك وأحوال بني عمّه، لكن هلم فاسمع اللغط والغلط والهرج والهذيان وتسطير الأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان عند ما تلقي عليهم طرفاً من الذاكرة في شأن أبي طالب عليه السلام عمّ النبي صلى الله عليه وآله، أو شأن والده صلى الله عليه وآله، أو أمّه، حيث ترى منهم من يقول: ماتوا كفاراً، وآخرين يقولون: أولئك جمرات جهنم، وأحدهم يقول: أبو طالب مات على الكفر والضلالة، وآخر يقول: نعم، أبو طالب في ضحضاح من نار، وآخر ينادي: رسالة [ذو] النفس [الزكية] تشهد بكفره، وهكذا تأتي نغماتهم متساوية التوقيع على أوتار الأهواء.

في هذا المقام أعرضوا عن قاعدتهم التي ضربوها ـ قبح الخوض في دقائق أمور الملك وأحوال ذوي رحمه ـ هكذا نرى منهم التناقض في القول والعمل، والمراوغة البيّنة بدون خجل، أيقبح من الرغبة الخوض في أحوال

أبناء عمّ الملك الذين ما زالوا منذ كانوا يبغون الغوائل ويريدون النوازل في الملك ويعملون ليلهم ونهارهم على محق قانونه من أهله، ولا يقبح الخوض في أحوال والد الملك ووالدته وعمّه الذي بذل كل ما في وسعه في حماية الملك من أعدائه، وسعى سعيه الذي به انتشر قانونه في الآفاق؟ نعوذ بالله من سبات العقل واتباع الهوى.

وخذ لك مثلاً حب البعض منهم البقاء على الجهل مشياً مع سياستهم الزمنية، لتعلم أن القوم بجملة صنوفهم في معزل عن الحقيقة، ذلك ما حصل للوزير يحيى بن هبيرة مع أبي الفوارس، يقول أبو الفوارس الشاعر: حضرت مجلس الوزير يحيى بن هبيرة ومعي يومئذٍ جماعة من الأماثل وأهل العلم، منهم الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي، وأبو محمّد [ابن] الخشاب اللغوي، وغيرهما، فجرى حديث شعر أبي طالب، فقال الوزير: ما أحسن شعره لو كان صدر عن إيمان، فقلت في نفسي: والله لأجيبنه بالجواب قربة إلى الله تعالى، فقلت له: يا مولاي، ومن أين لك أنه لم يصدر عن إيمان؟ فقال: لو صدر عن إيمان لكان أظهره ولم يخفه، فقلت: لو أظهره لم يكن للنبي ﷺ ناصر، فسكت ولم يحر جواباً، وكان لي عليه رسوم فقطعها من ذلك اليوم، وكان لي فيه مدائح مسودات فغسلتها جميعاً.(١)

أنظر إلى حالة معالي الوزير وإلى حبه البقاء على الجهل، حيث لم يرتض الجواب، بل سكت واجماً مضمراً لأبي الفوارس السوء كما فعل، فلو أنه أراد الحقيقة لأفسح لأبي الفوارس المجال في الكلام، ولتبادلاه ملياً، ولأكثرا فيه البحث والتنقيب كلما لم يقتنع حتّى يقع على كبد الحقيقة، فإنها بنت البحث، لكن ما العمل، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون؟ فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) أنظر: بحار الأنوار ٣٥: ١٣٤.

هذا ما أردنا بيانه وتوضيحه من حياة أبي طالب عليه السلام، شيخ البطحاء، وعظيم قريش، وقد تم على يدي وأنا أقل خدمة الدين والشريعة حسن السيد علي السيد حسن السيد مهدي القبانچي سنة الألف والثلاثمائة والثامنة والخمسين هجرية _ على صاحبها أفضل الصلوات والتحيّات _ سادس عشر ذي القعدة.

* * *

مصادر التأليف والتحقيق

١ ـ **القرآن الكريم.**

٢ ـ **إيمان أبي طالب:** الشيخ المفيد/ ت مؤسسة البعثة/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ بيروت.

٣ ـ **الإصابة:** ابن حجر/ ت عادل أحمد/ ط ١/ دار الكتب العلمية/ ١٤١٥هـ/ بيروت.

٤ ـ **الإستيعاب:** ابن عبد البر/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٥ ـ **اختيار معرفة الرجال:** الشيخ الطوسي/ مؤسسة آل البيت/ ١٤٠٤هـ/ قم.

٦ ـ **أسنى المطالب:** أحمد زيني دحلان/ ط: مصر/ ١٣٠٥هـ.

٧ ـ **أسباب النزول:** الواحدي النيسابوري/ ط ١٣٨٨/ مؤسسة الحلبي/ قاهرة.

٨ ـ **أنساب الأشراف:** البلاذري/ ت المحمودي/ ط ١/ ١٣٩٤هـ/ الأعلمي/ بيروت.

٩ ـ **الأمالي:** الصدوق/ ت مؤسسة البعثة/ ط ١/ ١٤١٧هـ/ قم.

١٠ ـ **الأمالي:** الشيخ الطوسي/ ت مؤسسة البعثة/ الناشر دار الثقافة/ ط ١/ ١٤١٤هـ/ قم.

١١ ـ **أُسد الغابة:** ابن الأثير/ انتشارات إسماعيليان/ طهران.

١٢ ـ **الأنوار البدرية:** محمد بن الحسن المهلبي: مخطوط.

١٣ ـ **بلوغ الأرب:** محمود شكري الآلوسي/ ط: مصر/ ١٣٤٢هـ.

١٤ ـ **بحار الأنوار:** المجلسي/ مؤسسة الوفاء/ ط ٢ المصححة/ ١٤٠٢هـ/ بيروت.

١٥ ـ **البداية والنهاية:** ابن كثير/ ط ١/ ١٤٠٨هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

١٦ ـ **تاريخ الطبري:** ابن جرير الطبري/ ت نخبة من العلماء/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.

١٧ ـ **تاريخ بغداد:** الخطيب البغدادي/ ت مصطفى عبد القادر عطا/ ط ١/ ١٤١٧هـ/ مط دار الكتب العلمية.

١٨ ـ **تاريخ دمشق:** ابن عساكر/ ت عليّ شيري/ ط ١٤١٥هـ/ طباعة ونشر دار الفكر.
١٩ ـ **تاريخ الخميس:** الديار بكري/ ط: مصر/ ١٢٨٣هـ.
٢٠ ـ **تفسير ابن كثير:** ابن كثير/ ط ١٤١٢هـ/ طباعة ونشر دار المفيد/ بيروت.
٢١ ـ **التفسير الكبير:** الفخر الرازي.
٢٢ ـ **تفسير مجمع البيان:** الطبرسي/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
٢٣ ـ **تفسير البرهان:** السيد هاشم البحراني.
٢٤ ـ **تصحيح الاعتقاد:** الشيخ المفيد/ ت دركاهي/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ نشر دار المفيد.
٢٥ ـ **تعجيل المنفعة:** ابن حجر الهيثمي/ الناشر دار الكتاب العربي/ بيروت.
٢٦ ـ **تذكرة الخواص:** السبط ابن الجوزي.
٢٧ ـ **جامع البيان:** ابن جرير الطبري/ ت صدفي العطار/ ط ١٤١٥هـ/ دار الفكر/ بيروت.
٢٨ ـ **الحجة للذاهب إلى إيمان أبي طالب:** فخار بن معد الموسوي.
٢٩ ـ **خصائص الوحي المبين:** ابن البطريق/ ت مالك المحمودي/ ط ١/ ١٤١٧هـ/ مط نكين/ الناشر دار القرآن الكريم/ قم.
٣٠ ـ **الدر المنثور:** السيوطي/ ط ١/ ١٣٦٥هـ/ مط الفتح جدة/ الناشر دار المعرفة.
٣١ ـ **الدرجات الرفيعة:** السيد علي بن معصوم/ ط ٢/ ١٣٩٧هـ/ مكتبة بصيرتي/ قم.
٣٢ ـ **ذخائر العقبى:** أحمد بن عبد الله الطبري/ ط ١٣٥٦هـ/ الناشر مكتبة القدسي.
٣٣ ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة:** آقا بزرك الطهراني/ ط ٣/ ١٤٠٣هـ/ دار الأضواء.
٣٤ ـ **رسائل المرتضى:** السيد المرتضى/ ت الرجائي/ دار القرآن/ ١٤٠٥هـ.
٣٥ ـ **روضة الواعظين:** الفتال النيسابوري/ محمّد مهدي الخرسان/ منشورات الرضي.
٣٦ ـ **زهر الآداب:** أبو إسحاق القيرواني الحصري.
٣٧ ـ **السنن الكبرى:** البيهقي/ طباعة ونشر دار الفكر/ بيروت.
٣٨ ـ **السنن الكبرى:** النسائي/ ت البغدادي/ ط ١/ ١٤١١هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
٣٩ ـ **سنن الترمذي:** الترمذي/ ت عبد الوهاب عبد اللطيف/ دار الفكر/ ١٤٠٣هـ.

٤٠ ـ **السيرة الدحلانية:** أحمد زيني دحلان/ مطبوع بهامش السيرة الحلبية.
٤١ ـ **السيرة النبوية:** ابن هشام الحميري/ ط: مصر.
٤٢ ـ **شرح نهج البلاغة:** ابن أبي الحديد/ ت محمّد أبو الفضل إبراهيم/ منشورات مكتبة المرعشي/ الناشر دار إحياء الكتب العربية.
٤٣ ـ **صحيح البخاري:** محمد ابن إسماعيل البخاري/ طباعة ونشر دار الفكر/ بيروت.
٤٤ ـ **الصواعق المحرقة:** ابن حجر الهيثمي.
٤٥ ـ **الصراط المستقيم:** العاملي/ ت البهبودي/ مط الحيدرية/ المكتبة المرتضوية.
٤٦ ـ **الطبقات الكبرى:** ابن سعد/ الناشر دار صادر/ بيروت.
٤٧ ـ **الطرائف:** السيد ابن طاووس/ ط١/ ١٣٧١هـ/ مط الخيام/ قم.
٤٨ ـ **عمدة الطالب:** ابن عنبة/ ت الطالقاني/ ط ٣/ ١٣٨٠هـ/ مكتبة الحيدرية/ النجف.
٤٩ ـ **غاية السؤول:** الدينوري الحنبلي/ مخطوط.
٥٠ ـ **الغدير:** الشيخ الأميني/ ط ١٣٧٩هـ/ طباعة ونشر دار الكتاب العربي/ بيروت.
٥١ ـ **فجر الإسلام:** أحمد أمين.
٥٢ ـ **القاموس المحيط:** الفيروز آبادي.
٥٣ ـ **الكشاف:** الزمخشري.
٥٤ ـ **كنز الفوائد:** أبو الفتح الكراجكي/ ط٢/ ١٤١٠هـ/ الناشر مكتبة المصطفوي/ قم.
٥٥ ـ **كنز العمال:** المتقي الهندي/ ت الشيخ بكري حياني/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.
٥٦ ـ **الكافي:** الكليني/ ت عليّ أكبر الغفاري/ ط ٣/ ١٣٨٨هـ/ دار الكتب الإسلاميّة.
٥٧ ـ **الكامل في التاريخ:** ابن الأثير/ ط: دار صادر/ بيروت.
٥٨ ـ **لسان الميزان:** ابن حجر الهيثمي/ ط٢/ ١٣٩٠هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
٥٩ ـ **المستدرك على الصحيحين:** الحاكم النيسابوري/ دار المعرفة/ بيروت/ ١٤٠٦هـ.
٦٠ ـ **المختصر في أخبار البشر:** أبو الفداء الدمشقي/ دار المعرفة/ بيروت.

٦١ _ **مناقب آل أبي طالب:** ابن شهر آشوب/ ط: ١٣٧٦هـ/ مط الحيدرية/ النجف.

٦٢ _ **المصنف:** ابن أبي شيبة/ ت محمّد اللحام/ ط ١/ ١٤٠٩هـ/ طباعة ونشر دار الفكر.

٦٣ _ **ميزان الاعتدال:** الذهبي/ ت البجاوي/ ط ١/ ١٣٨٢هـ/ دار المعرفة/ بيروت.

٦٤ _ **مسند أحمد:** أحمد بن حنبل/ طباعة ونشر دار صادر/ بيروت.

٦٥ _ **مجمع الزوائد:** ابن حجر الهيثمي/ ط ١٤٠٨هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٦٦ _ **المعجم الكبير:** الطبراني/ ت حمدي عبد المجيد السلفي/ ط٢/ مط دار إحياء التراث العربي/ القاهرة.

٦٧ _ **متشابهات القرآن:** ابن شهر آشوب المازندراني.

٦٨ _ **مسند الإمام الرضا:** العطاردي/ ط: ١٤٠٦هـ/ آستان قدس رضوي.

٦٩ _ **النهاية في غريب الحديث:** ابن الأثير/ ط ٤/ ١٣٦٤هـ/ مؤسسة إسماعيليان/ قم.

٧٠ _ **وفيات الأعيان:** ابن خلكان/ ط: ١٣١٠هـ.

٧١ _ **ينابيع المودة:** القندوزي الحنفي/ ت عليّ الحسيني/ ط ١/ ١٤١٦هـ/ دار أسوة.

* * *

فهرست الموضوعات

مقدمة المؤسسة ٣
المؤلف ٣
الموضوع ٤
هذه القضية فيها بحثان مهمان ٥
الكتاب ٦
مقدمة المؤلف ٩
دوافع التأليف ١٠
[ترجمة أبي طالب عليه السلام] ١٣
[ولادة أبي طالب] ١٣
[رؤيا عبد المطلب] ١٣
[نشأته عليه السلام] ١٤
[زواجه عليه السلام] ١٦
[فاطمة بنت أسد] ١٧
[أخت عليّ عليه السلام أم هاني] ١٨
[كفالة أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله] ١٨
[كرامة لأبي طالب عليه السلام] ٢٠
[استسقاء أبي طالب ببركة النبي صلى الله عليه وآله] ٢٠
[نزول المطر ببركة النبي صلى الله عليه وآله] ٢٢

[مقام أبي طالب في قريش] ٢٥

[كفالته للنبي صلى الله عليه وآله] ٢٧

[التجارة مع خديجة عليها السلام] ٣٠

[خطبة خديجة عليها السلام] ٣٢

[نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله] ٣٣

[بداية الدعوة وموقف أبي طالب عليه السلام] ٣٥

[دعوة النبي صلى الله عليه وآله لعشيرته] ٣٦

[معاهدة قريش] ٣٩

[نموذج من حماية أبي طالب عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله] ٤١

[دفاع أبي طالب عن المسلمين] ٤٥

[أبو طالب ينفذ وصية أبيه] ٤٦

[وصية أبي طالب] ٤٧

[حزن النبي صلى الله عليه وآله لفقد عمّه] ٤٩

[هجرة النبي صلى الله عليه وآله من مكّة] ٥٤

[مؤامرة قريش لقتل النبي صلى الله عليه وآله] ٥٥

[سرّ التشكيك في إسلام أبي طالب عليه السلام] ٥٩

[تاريخ تولّد النزاع] ٦٠

[معاوية يسنّ سب عليّ عليه السلام] ٦٢

[وضع الحديث تقرباً لمعاوية] ٦٥

[الدليل على إيمان أبي طالب من كتب العامة] ٦٩

[صحيح البخاري في الميزان] ٧٠

[نماذج من شعره تدل على إسلامه] ٧٢

[أمرُ أبي طالب أولاده باتباع الرسول صلى الله عليه وآله] ٧٧

أمره عليه السلام حمزة بالدفاع عن بيضة الإسلام ٧٨
[أبو طالب عليه السلام يمدح النجاشي] ٧٩
[إقرار أبي طالب بالتوحيد لله] ٨١
إجماع أهل البيت عليهم السلام على إسلام أبي طالب ٨٥
[معرفة الإيمان] ٨٨
[الاعذار المانعة من اظهار الإيمان] ٨٩
[أبيات للسيد عليّ خان في مدح أبي طالب] ٩١
نقض تفسير الآيات التي يستدل بها المكفرة لأبي طالب ٩٥
[الدليل الأوّل: رواية سعيد بن المسيب] ٩٥
[الجواب] ٩٥
سندها ٩٦
[انحراف سعيد بن المسيب عن عليّ] ٩٦
شأن نزولها ٩٧
معارضتها بما هو أصح منها سنداً وأقرب اعتباراً ٩٧
[الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾]: ٩٨
[الجواب] ٩٩
[سبب نزولها] ٩٩
[الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ﴾] ١٠٠
[جوابه] ١٠٠
[الدليل الرابع: رفضه النبي صلى الله عليه وآله دعوته للإسلام] ١٠٠
[الجواب] ١٠١
الدليل الخامس: حديث الضحضاح ١٠٤
[الجواب] ١٠٥

سند الحديث ١٠٥
[الدليل السادس: اعتراف عليّ عليه السلام بضلال أبيه] ١٠٨
[الجواب] ١٠٨
[النقاش في سند الحديث] ١٠٨
[الدليل السابع: عدم وراثة عليّ عليه السلام وجعفر من أبيهما] ١١٠
[الجواب] ١١٠
[الدليل الثامن: لم ينقل انه صلى] ١١٠
[الجواب] ١١٠
[بحث في معنى الضحضاح وتفرعاته] ١١٣
[شخصية المغيرة بن شعبة] ١١٤
توقف بن أبي الحديد في إيمان أبي طالب ١١٧
[رد على المعتزلي ابن أبي الحديد] ١١٨
[شعر أبي طالب دليل على إيمانه] ١٢٥
كلمة الختام وفيها تحامل القوم على أبي طالب ١٢٩
مصادر التأليف والتحقيق ١٣٥
فهرست الموضوعات ١٣٩

* * *